الصلاة، انقطعت الصلة بيننا وبين الله، فأهملنا الله وأذلنا وسلط علينا القردة والخنازير، وجعل كلمة الذين كفروا هي المسموعة، وأنتم يا أمة الإسلام لا أحدٌ يسمع لكم!

وفوق هذا تشبهنا بالكفار، وأكلنا الربا، وانتشر التبرج في نسائنا، فأصبح لباسهن كلباس الكافرات، وبيوتنا أصبحت كبيوت الكفار، ثم بعد ذلك تطلبون العزة والنصر من الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

● يا تارك الصلاة! أنسيت أن رسول الله ﷺ كان طوال حياته يعلم أصحابه الصلاة، ويقول لهم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١) كان ﷺ يهتم بأمر الصلاة، وبشأن الصلاة طوال حياته حتى في أنفاسه الأخيرة وروحه تخرج إلى بارئها، كان ﷺ يقول لأمته: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»(٢)، فهل يوصي كلّ منَّا أولاده بالصلاة؟ هل يسأل كل منا إذا دخل بيته عن الصلاة، أم أننا نسأل عن المال والدنيا فقط؟!.

● يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة نور؟! نور في الوجه، ونور في القلب، ونور في القبر، ونور يوم القيامة على الصراط، يقول ﷺ: «**والصلاة نور**»(٣)، ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤). بشر الذين يأتون للمساجد في ظلمات الليل للعشاء وللفجر بالنور التام يوم القيامة، ويقول الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٦٢).

(٢) **صحيح**: هـ: (١٦٢٥)، حم: (٦/ ٣١١)، طب: (٢٣/ ٣٧٩)، ع: (١٢/ ٤١٤)، [«س. ص» (٨٦٨)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٢٣).

(٤) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٩)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، طب: (٦/ ١٤٧)، [«ص. ج» (٢٨٢٣)].

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن الصلاة تمحو الخطايا والذنوب وترفعك درجات عند الله؟! يقول ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١)، وقال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(٢).

عباد الله! الصلاة، الصلاة، فهي سببٌ للحصول على الرزق، وسبب للنصر على الأعداء، وسبب للحياة الطيبة، وسبب لدخول الجنة، فيا تارك الصلاة: أنسيت أن الله أمرك بالصلاة، لأن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ولأن الصلاة تطهر صاحبها من الأخلاق الدنيئة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]؛ فانظروا عباد الله كيف استثنى الله ﷻ الذين يحافظون على الصلاة من الاتّصاف بهذه الأخلاق السيئة الدنيئة؛ وذلك لأنهم استجابوا لأمر الله فصلوا صلاة مقبولة عند الله ﷻ، فنقوا أنفسهم بذلك من الأخلاق السيئة، وابتعدوا عن الفحشاء والمنكر.

• يا تارك الصلاة! أنسيت أن من ترك الصلاة استحوذ عليه الشيطان؟! وانظروا إلى تاركي الصلاة لترون أنهم قد انضموا إلى حزب الشيطان فأنساهم ذكر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]. والصلاة ذكر لله ومن ترك الصلاة، ترك ذكر الله فاستحوذ عليه الشيطان وضمه إلى حزبه،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥١).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

والشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. ويقول ﷺ: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان...**»[١].

نعم، إنهم إن تركوا صلاة الجماعة استحوذ عليهم الشيطان، وإن تركوا الصلاة بالكلية استحوذ عليهم الشيطان.

فيا أمة الإسلام! هذه البيوت التي لا تقام فيها الصلاة ما ظنكم بها؟ البيوت التي امتلأت بالمفسديون والصور، البيوت التي امتلأت الثلاجات فيها بالخمر، البيوت التي لا تسمع فيها إلا من يسبون الدين والرب، هذه البيوت أصبحت مأوى الشياطين فهي تخرّج للمجتمع شياطين، أُسرٌ فاسدة تُخرِّج الفساد للمجتمع ولا خير فيها! فاتقوا الله في بيوتكم، واحرصوا على دخول الملائكة في بيوتكم بالمحافظة على الصلاة، فصلوا الفريضة في المسجد وصلوا النافلة في بيوتكم، ولا تجعلوا بيوتكم كالقبور، فإن الملائكة إذا دخلت البيت كانت السعادة والطمأنينة فيه، وإذا دخل الشيطان البيت، فلن يعرف أهله طعم السعادة. ولذلك نقول للذين يشتكون الضنك والحياة السيئة في بيوتهم مع أولادهم ونسائهم: الصلاة الصلاة.

● يا تارك الصلاة! نقول لك أخيراً: أنسيت الموت؟! وما أدراك ما الموت؟! أنسيت أنه سيأتيك بغتة؟! نعم ستأتي الساعة التي تنام فيها يا تارك الصلاة على فراش الموت، وتقول عندها: ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً، لعلي أصلي ركعتين لله، فيقال لك: كلا. أنسيت القبر والميزان؟! أنسيت الوقوف بين يدي الله؟! إياك أن تنسى، وإن نسيت فها قد ذكرناك والذكرى تنفع المؤمنين، فاتقوا الله معشر المسلمين في الصلاة وأدوها في بيوت الله، واحذروا أن تتخلفوا عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي فالمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي مرتكب لكبيرة من

---

(١) **حسن**: د: (٥٤٧)، ن: (٨٤٧)، حم: (٥/ ١٩٦)، خز: (١٤٨٦)، حب: (٢١٠١)، ك: (١/ ٣٣٠)، [«ص.ج» (٥٧٠١)].

كبائر الذنوب وهو عاصٍ لله ولرسوله، لأن المساجد بنيت لإقامة الصلاة ولذكر الله ولو صلى كل منا في بيته فمن سيعمر المساجد التي تشتكي إلى الله ـ وخاصة في صلاة الفجر ـ مِنْ قلة المصلين. يا مَنْ تنام متأخراً وتستيقظ مع طلوع الشمس اتقِ الله واعلم أنه كما لا يجوز أن تصلي الصلاة قبل وقتها، فكذلك لا يجوز لك أن تصليها بعد وقتها إلا من عذر شرعي كالنسيان والنوم، والذي يسهر على شاشات المفسديون وفي مجالس الغيبة والنميمة طوال الليل ثم ينام متأخراً ويستيقظ والشمس طالعة فهذا عاصٍ لله لأنه لم يأخذ بالأسباب الشرعية التي بها يستيقظ وقت صلاة الفجر، وصلاة الفجر عزيزة لا يصليها إلا من امتلأ قلبه بالإيمان، ولذلك كانت صلاة الفجر ثقيلةً على المنافقين.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يجعلنا وإياكم من المحافظين على الصلاة



١٩٨

المجرم الثاني عشر ـ من آذىٰ الناس بلسانه

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار. **في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدث عن المجرم الثاني عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي يؤذي الناس بلسانه.**

- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي **يأكل لحوم الأبرياء.**
- أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه الذي يسهر على لحوم الأبرياء

وهذا مجرم من أصحاب النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧]. وهذا هو الشاهد، فالمجرم في نار جهنم يعترف بلسانه أن من الأسباب التي كانت سبباً لدخوله النار أنه كان إذا جلس في مجلس خاض فيه مع الخائضين بالباطل وأكل معهم لحوم الأبرياء. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «**هي في النار**»، قال: يا رسول الله إن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تتصدّق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها! قال ﷺ: «**هي في الجنة**»[١]، والصلاة والصيام والصدقة هنا المقصود بها التطوع وليست الفريضة. فليحذر الذين يصلون ويصومون وإذا جلس

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٤٠)، حب: (٥٧٦٤)، ك: (٤/ ١٨٤)، خد: (١١٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٦٠)].

أحدهم في مجلس غيبة ساهم مع الجالسين بعد أن يقول: (اللهم لا تجعلها غيبة) ثم يبدأ في أكل لحوم الأبرياء، وكأنه عندما قال: (اللهم لا تجعلها غيبة) استحل بذلك أن يأكل لحوم الأبرياء!!

● ويقول معاذ رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم! وإنه ليسيرٌ على من يسره الله تعالى عليه**»، وبعد أن أخبره ودله على أبواب الخير قال ﷺ: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**كُف عليك هذا**»، وأشار إلى لسانه، قلتُ: يا نبيّ الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟**»[١].

والشاهد أن ما يكب الناس في النار على وجوههم هو اللسان ويقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٢].

ويقول ﷺ: «**لما عرج بي ربّي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»[٣].

عباد الله! إذاً الذي يخوض بلسانه في الباطل، والذي يؤذي الناس بلسانه، والذي يأكل لحوم الأبرياء مجرم من أصحاب النار.

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، طب: (٢٠/ ١٣٠)، [ص.غ.هـ» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

(٣) **صحيح**: د: (٤٨٧٨)، حم: (٣/ ٢٢٤)، [«ص.ج» (٥٢١٣)].

• ولذلك نقول ناصحين منذرين: هذه رسالة نوجهها تحذيراً للذين يسهرون على لحوم الأبرياء، للذين يغتابون المسلمين، للذين لا تحلوا مجالسهم إلا بالغيبة نقول لهم:

أولاً: اعلموا أن الغيبة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً، يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: اتقوا الله فكما أنكم تكرهون أكل لحوم الأموات فاتقوا الله ولا تأكلوا لحوم الأبرياء شرعاً، لأنه لا يعقل أبداً أن يأكل الرجل لحم الميت، فكذلك لا يليق بالمسلم أن يأكل لحم أخيه بالغيبة فاتقوا الله، ويقول ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[١].

إخوة الإسلام! على كل منا أن يتقي الله في مجلسه فإنَّ الكثير من المجالس في هذه الأيام لا تحلو إلا بالغيبة، وإذا نحن جالسنا أهلها، فإننا نشاركهم، ونستمع لهم، ونعينهم ونهز لهم الرؤوس، فإننا وإياهم في الإثم سواء، فليتقِ الله كل منا في سمعه ونفسه ولسانه.

ثانياً: نقول لهؤلاء: أتدرون ما الغيبة؟ إن كانوا لا يدرون فنقول لهم: الرسول ﷺ يخبركم بمعنى الغيبة قال ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**ذكرُك أخاك بما يكرهُ**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»[٢]. والبهتان هو: الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٨٨٠)، ت: (٢٠٣٢)، حم: (٤/ ٤٢٠)، حب: (٥٧٦٣)، طب: (١١/ ١٨٦)، ع: (٣/ ٢٣٧)، [«ص.ج» (٧٩٨٤)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٩).

ثالثاً: نقول لهؤلاء: لقد حذر الرسول ﷺ من الغيبة تحذيراً شديداً فاسمعوا يا من تأكلون لحوم الناس، يقول ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»(١)، ويقول ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب**»(٢)، ويقول ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»(٣)، وتقول عائشة رضي الله عنها: قلت للنبيّ ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(٤) أي: لو مزجت بماء البحر لغيرت طعمه، وهذه كلمة واحدة! قالت: قصيرة! وما قالت: زانية! ما قالت: عاهرة! ما قالت: سارقة! ما قالت مثل ما تقول نساؤنا في هذا الزمان، ولكن قالت: قصيرة. ولكن هذا من ذكرك أخاك بما يكره، فعن عمرو بن شعيب أنهم ذكروا رجلاً عند رسول الله ﷺ فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحلَ له! فقال النبيُّ ﷺ: «**اغتبتموه**»، فقالوا: يا رسول الله حدثنا بما فيه، قال: «**حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه**»(٥)، وعَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت العرب يخدم بعضهم بعضاً في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجلٌ يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم يهيِّئ لهما طعاماً، فقال أحدهما لصاحبه: «إنَّ هذا ليُوَائِمُ نوم بيتكم» ـ أي ـ عابوه بكثرة النوم ـ فأيقظاه، فقالا: ائتِ رسول الله ﷺ فقل له: «إنَّ أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، وهما يستأدمانك» ـ أي: يطلبان شيئاً يؤكل من الخبز مثلاً ـ فقال ﷺ: «**أقرهما السلام، وأخبرهما أنهما قد ائتدما**»، ففزعا، فجاءا إلى

---

(١) **صحيح**: طس: (٧/١٥٨)، [«ص.ج» (٣٥٣٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٤)، م: (١٦٧٩).

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

(٤) **صحيح**: د: (٤٨٧٥)، ت: (٢٥٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٤)].

(٥) **حسن لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٦)].

النبي ﷺ فقالا: «يا رسول الله، بعثنا إليك نستأدمك فقلت: «قد ائتدما»، فبأيِّ شيء ائتدمنا؟»، قال ﷺ: «**بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين أنيابكما**» ـ يعني: لحم الذي استغاباه ـ، وفي رواية: «**ثناياكما**»، قالا: فاستغفر لنا، قال: «**هو فليستغفر لكما**»[(١)].

• ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فقام رجل، فوقع فيه رجلٌ من بعده، فقال النبي ﷺ: «**تخلل**»، فقال: وممَّ أتخلل؟ ما أكلتُ لحماً، قال ﷺ: «**إنك أكلت لحم أخيك**»[(٢)].

• ويقول جابر رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فهبت ريحٌ منتنةٌ فقال الرسول ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»[(٣)]، ولذلك جاء الإسلام يأمر بإمساك اللسان، وبحبسه عن لحوم الناس، وعن إيذائهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ** ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]. ويقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(٤)]، ويقول ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»[(٥)]، ويقول ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[(٦)]، وقال رجل: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٦٩٧)، [«س.ص» (٢٦٠٨)].

(٢) **صحيح لغيره**: طب: (١٠/ ١٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٣٧)].

(٣) **حسن لغيره**: حم: (٣/ ٣٥١)، خد: (٧٣٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٤٠)].

(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

(٥) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/ ٣٩٨)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٦) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

«**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»[١].

• وقال رجل: يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به، قال ﷺ: «**قل ربيَ الله ثم استقم**»، قلتُ: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ «**فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا**»[٢].

• وقال رجل: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[٣].

فيا إخوة الإسلام! ألا تأخذون بهذه الوصية، «**أمسك عليك لسانك**»، أي: لا تتكلم إلا بالخير، «**وليسعك بيتك**»، أي: انشغل بعبادة ربك، «**وابك على خطيئتك**»، أي: انشغل بعيوبك عن عيوب الناس.

عباد الله! وهذه رسالة نوجهها إلى الذين يجلسون في مجالس الغيبة ولا يقعون في الغيبة، ولكنهم يستمعون لها ويقرونها ويوافقون مَنْ جالسوهم عليها، ونود من خلال هذه الرسالة أن نبيّن لهم ماذا يجب عليهم؟

أولاً: اعلموا بأن السمع نعمة من الله، ولقد أعطاك الله هذه النعمة لتستمع بها إلى ما يرضي الله، والذي يستمع إلى الغيبة يخشى عليه أن يفقده الله ﷻ نعمة السمع، ثم إن الله ﷻ سيسأله يوم القيامة عن هذه النعمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثانياً: الذي يستمع إلى الغيبة مشترك مع المتكلم بها في الجريمة، وهما في الإثم سواء، والدليل: حديث أنس السابق وفيه «**قد ائتدما**»

---

(١) **صحيح**: خ: (١١)، م: (٤٢).

(٢) **حسن صحيح**: هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/ ٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، طب: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/ ٢٥٩)، طب: (١٧/ ٢٧١)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

وقوله، «**بين أنيابكما**»[١]، مع أنَّ القائل كان أحدهما، لكن الآخر سكت وأقر ولم ينكر عليه.

ثالثاً: يجب على الجالس والسامع للغيبة أن يدافع عن أخيه ويقول للمغتاب: اتقِ الله إن هذه غيبة وإن هذا حرام، ولا يحل لك أن تأكل لحم أخيك والدليل على ذلك ما ورد في قصة كعب بن مالك؛ ففي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الطويل في قصة توبته قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: («**ما فعل كعب بن مالك؟**»، قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ)[٢]، فادخرها كعب لمعاذ حتى الموت، فمن منا مثل معاذ يا عباد الله إذا جلس في مجلس تؤكل فيه لحوم الناس، قال للمغتاب: اتقِ الله بئس ما قلت ما علمنا عليه إلا خيراً. ويقول ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٣]، ويقول ﷺ: «**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**»[٤].

رابعاً: يجب على الجالس في مجلس الغيبة إذا نصحَ المغتاب ولم ينتصح أن يقوم من المجلس فوراً، استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى واصفاً عباده المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]، والله يُخْشى عليك

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص١٠١.

(٢) **صحيح**: خ: (٤١٥٦)، م: (٢٧٦٩).

(٣) **صحيح**: ت: (١٩٣١)، حم: (٦/ ٤٥٠)، هب: (٦/ ١١١)، [«ص.ج» (٦٢٦٢)].

(٤) **حسن**: طب: (١٨/ ١٥٤)، هب: (٦/ ١١١)، هق: (٨/ ١٦٨)، [«ص.ج» (٦٥٧٤)].

يا عبد الله أن تجلس في مجلس الغيبة هذا فيطلع الله ﷻ على من فيه بنقمة فتصيبك معهم، فليتقِ الله كلّ من يجلسون في مجالس الغيبة، وعلى كل منا أن يمسك لسانه عن الغيبة؛ فبذلك ننجو، وإلا إذا استمرّ على أكل لحوم الأبرياء بلسانه فهو مجرم من أصحاب النار.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١٩٩

المجرم الثالث عشر ـ النمام

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثالث عشر، أتدرون من هو يا عباد الله! إنه «النمّام»**.

أتعرفون النمام؟ إنه مَنْ يقوم بنقل الكلام بين الناس ليفسد بينهم، وليفرق بينهم، وليلقي العداوة والبغضاء بينهم، وهذا العمل الخبيث وهذه الفعلة الخبيثة التي يقوم بها النمام تسمّى: «النميمة».

والنميمة: خلق ذميم، ومرض فتاك، باعث للفتن، زارع للحقد والحسد، مفرق للجماعات، ومفرق بين الأحبة.

والنميمة: هي السهم القَاتل، وهي الداء العضال، وهي في أفواه الجهال أحلى من الزلال.

عباد الله! النمام مجرم بنص القرآن:

١ ـ لأنه يخوض بلسانه مع الخائضين، ولأنه يؤذي بلسانه الناس، ويفرق بلسانه بين الأحبة، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٥]. والنمام أحد هؤلاء؛ لأنه يخوض في المجلس مع الخائضين، ويقوم بنقل ما دار في هذا المجلس إلى مجلسٍ آخر ليفرق بين الأحبة.

٢ ـ النمام: من شر الناس، لأنه يفرق بين الأحبة، فكم من فُرْقة بين المرء وزوجه وكان السبب ورائها النمام، وكم مِنْ فرقة بين الأخ

وأخيه، وكم مِنْ فرقةٍ بين الجار وجاره، وكم مِنْ فرقة بين الولد وأبيه سببها النمام الذي ألقى بفعلته الخبيثة بين الناس العداوة والبغضاء، قاتلهم الله أنى يؤفكون! يقول ﷺ: «**شرار عباد الله المشّاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**»[(١)]. أعرفتم من هم شر الناس؟ المشاءون بالنميمة، أي الذين ينقلون الكلام بين الناس، المفرقون بعملهم هذا بين الأحبة، والله ﷻ يقول: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]، والنمام قد تشبّه بهؤلاء وفعل فعلهم فهو من شر الدواب.

٣ ـ النمام له لسانان ووجهان، يخبر بذلك الرسول ﷺ فيقول: «**تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**من كان ذا لسانين** ـ أي: في الدنيا ـ **جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار**»[(٣)].

٤ ـ النمام يقوم بعمل من أعمال المنافقين، فيلقى هؤلاء بوجه، ويجلس مع هؤلاء بوجه، ويلقىٰ هؤلاء بوجه آخر، تراه يبتسم لك ليأخذ منك الكلام، ثم يبتسم للآخر لينقل له الكلام مدعياً أنه ناصح أمين، وإذا تكلم فلسانه أحلى من العسل وكل هذا من أفعال المنافقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾ [البقرة: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤].

٥ ـ النمام: خائن للأمانة، لأنكم تعلمون جميعاً أنَّ المجالس

(١) **حسن لغيره**: حم: (٤/ ٢٢٧)، هب: (٧/ ٤٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٢٤)].
(٢) **صحيح**: خ: (٣٣٠٤)، م: (٢٥٢٦).
(٣) **صحيح لغيره**: طس: (٨/ ٣٦٥)، ع: (٥/ ١٥٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٠)].

أمانة، فإذا قام النمام بنقل هذا الكلام من مجلس إلى آخر فقد خان أمانة المجلس، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧]، والله ﷻ أخبر في كتابه أنه لا يحب الخائنين، وأنه لا يهدي كيد الخائنين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

عباد الله! والخيانة من أخلاق المنافقين، فالنمام متشبّهٌ بالمنافقين يقول ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[١]. صفات ذميمة في المنافقين اتصف بها النمام.

٦ ـ النمام كذاب، لأن الذي يفسد بين الناس، وينقل الكلام من مجلس إلى آخر يريد بذلك أن يفرق بين الأحبة، فإنه سيزيد في الكلام، ويكذب في نقل الكلام ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ويقول ﷺ: «**فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[٢].

٧ ـ النمام من المفسدين في الأرض. لأنه يقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويفسد بين الناس، ويفرق بين الأحبة، والله ﷻ أمر بالإصلاح بين الناس ونهى عن الفساد في الأرض، لكن النمام سعى في الأرض فساداً، وخالف أمر الله وفعل ما نهاه الله عنه، فالله ﷻ قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأمر بالإصلاح بين الناس، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. فهذا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤)، م: (٥٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

أمر والأمر للوجوب، والله ﷻ يحض على الإصلاح بين الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء: ١١٤]، فانظروا عباد الله، النمام ـ قاتله الله ـ يقوم بالإفساد بين الناس كما وصفه الله ﷻ ووصف أمثاله في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٥]، والنمام نقض العهد الذي بينه وبين الله وقطع الصلات بين المحبين، وسعى في الأرض فساداً.

٨ ـ النمام وقع في جريمة النميمة، وفي جريمة الغيبة، وفي جريمة التجسس. نعم، الذي يقوم بنقل الكلام بين الناس من مجلس إلى آخر، ومن شخص إلى آخر ليفسد بينهم وقع في النميمة وهي جريمة شنعاء، ووقع في الغيبة وهي جريمة نكراء، ووقع في التجسس الذي يؤدي إلى كل البلايا وإلى الفرقة والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول ﷺ: «**ولا تجسّسوا**»[1]، ويقول ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[2].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٤٥)، م: (٢٥٦٣).

(٢) **حسن صحيح**: د: (٤٨٨٠)، حم: (٤/ ٤٢٠)، طب: (١١/ ١٨٦)، ع: (٣/ ٢٣٧)، هب: (٥/ ٢٩٦)، هق: (١٠/ ٢٤٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٤٠)].

عباد الله! أعرفتم حقيقة النمامين؟ إذن كونوا منهم ومن النميمة على حذر.

وهنا سؤال مهمٌّ يحتاج إلى جواب، وهو:

كيف نتعامل مع النمام؟ كيف نتصرّف مع هذا الشخص الخبيث الذي يقوم بنقل الكلام من مجلس إلى آخر؟

المطلوب منك يا أخي ما يلي:

أولاً: أن لا تصدقه فيما يقول؛ لأن من نمَّ لك نمَّ عليك، وهذا النمام فاسق، والفاسق مردود الشهادة، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦].

ثانياً: أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ**﴾ [المائدة: ٢]، والرسول ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**»[1]. فقل لهذا النمام: اتقِ الله في لسانك، قل له: أكثر ما يكب الناس في النار على وجوههم حصائد ألسنتهم. قل له: أيها النمام أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.

ثالثاً: يجب عليك أن تبغضه في الله، وأن تعلمه أنك تبغضه في الله، لأنه عند الله بغيض، وهل هناك أبغض ممن يسعى في الأرض فساداً وممن يفرق بين الأحبة ويفسد بين الناس.

رابعاً: عليك أن تظن بأخيك الذي نقل لك عنه الكلام خيراً، وأن لا تظن به سوءاً لأن الله ﷻ نهاك عن سوء الظن، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور: ١٢].

خامساً: إياك أن تتجسس على أخيك الذي نُقل عنه الكلام، لأنك

---

(١) **صحيح**: م: (٥٥).

إذا تجسست وقعت في معصية الله لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، والرسول ﷺ قال: «**ولا تجسسوا**»[(١)].

سادساً: إياك إياك أن تقوم بنقل هذا الكلام الذي نقله لك النمام إلى مجلس آخر فتكون نماماً مثله.

عباد الله! النمام مجرم يفرق بين الأحبة، يمشي بين الناس بالنميمة فكونوا منه على حذر، وتعاملوا معه كما سمعتم لا تصدقوه وانصحوه، وأبغضوه في الله، وأحسنوا الظن بمن نقل عنه الكلام ولا يدفعكم ما نُقل لكم إلى التجسس، وإياكم أن تقوموا بنقل الكلام فتكونوا نمامين، فالنميمة مرض خبيث، وجريمة نكراء يقوم بها أحط الناس وأسفلهم وأشرهم، وقد جاء الإسلام وحرم النميمة فهي حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً، وهي حرام إلى يوم القيامة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣]. ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمّام**»[(٢)]، وفي رواية أخرى: «**لا يدخل الجنة قتات**»[(٣)]، أي نمام، ومر ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[(٤)].

فيا أيها النمام، العذاب في القبر ينتظرك، يا من تفسد بين الناس، العذاب في القبر ينتظرك، والفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تنتظرك، والله ﷻ يسوِّد وجهك يوم القيامة، وهناك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم، فماذا تقول لربك أيها النمام إذا ما وقفت بين يديه على الميزان وقال لك: أفسدت بين الناس، وفرقت بين الأحبة؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٤٥)، م: (٢٥٦٣).
(٢) **صحيح**: م: (١٠٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٠٩)، م: (١٠٥).
(٤) **صحيح**: خ: (٢١٥)، م: (٢٩٢).

فكم من زوجة طلقت من وراء النمامين، وكم من إنسان قتل من وراء النمامين، وكم من إنسان سجن من وراء النمامين؟ فالنمام شر ووبال على الأمة.

(رُوِي أن رجل رأى غلاماً يباع وينادى عليه، ليس به عيب إلا أنه نمام فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أياماً ثم قال هذا الغلام لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على فعل ما أوصاها به الغلام إذا ما نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال له سيدي، إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة، وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام)[١].

أعلمتم مقدار الشر الذي يوقعه النمام؟! إذن فلا تصدقوه، ولا تجالسوه، قاتل الله النمامين، لا كثَّرَ الله من أمثالهم في الأمة.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يكفينا وإياكم شر النميمة، وأن ينجينا وإياكم من شر النمَّامين

❀ ❀ ❀

(١) كتاب «الكبائر» للإمام الذهبي (ص١٦٠).

٢٠٠

المجرم الرابع عشر ـ الكذاب

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الرابع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الكذاب».**

الكذاب مجرم بنص القرآن، لأنه يخوض بلسانه مع الخائضين، ويؤذي بلسانه المسلمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧].

عباد الله! **اعلموا:**

أولاً: أن الكذب سبب لدخول النار، وهل أعد الله النار إلا للكذابين؟! قال ـ تعالى ـ: **﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾** [الأنعام: ٢٧، ٢٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠]، وقال ﷺ: «**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّىٰ الكذب، حتى يكتب**

عند الله كذاباً»[١].

ثانياً: الكذب من صفات المنافقين ومِنْ أخلاقهم ولا يليق أبداً بالمؤمنين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١]. ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث، [وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم]: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان**»[٢].

ثالثاً: الكذب يعرض صاحبه للعنة الله؛ لأن الكذاب ملعون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النور: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

رابعاً: الكذب يمنع صاحبه من الهداية والتوفيق، لأن الكذب يهدي صاحبه إلى الفجور، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

عباد الله! **الكذب أنواع**:

كذب على الله، وكذب على رسول الله، وكذب على الناس.

فمن الكذب على الله ﷻ: أن تقول على الله بغير علم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٥٩، ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

عباد الله! لقد قرن الله ﷻ القول عليه بغير علم في كتابه بالشرك:

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

عباد الله! **ومن الكذب على الله الإلحاد في أسمائه وصفاته.**

فمن عطل صفات الله فقد كذب على الله، ومن وصف الله بصفات البشر فقد كذب على الله، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عباد الله! **ومن الكذب على الله** ﷻ أن يقول أحدهم: اتخذ الله ولداً! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

عباد الله! **ومن الكذب على الله** ﷻ أن يقول أحدهم: إن الله فقير، ويقول: يد الله مغلولة كما قالت اليهود قاتلهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. وتوعد الله الذين يكذبون عليه بالعذاب الأليم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠]. أيها الكاذب على الله، سيسوِّد الله ﷻ وجهك في الدنيا والآخرة! يا من كذبتم على الله فأحللتم ما حرم الله، وحرَّمتم ما أحل الله! يا من بدَّلتم دين الله! يا من قلتم: هذا من الإسلام

وهو ليس من الإسلام في شيء! يا من قلتم: هذا ليس من الإسلام وهو من الإسلام! اتّقوا الله وانتهوا عمّا تقولون وإلا سيسوّد الله ﷻ وجوهكم في الدنيا والآخرة.

أمة الإسلام! **ومن أنواع الكذب: الكذب على رسول الله ﷺ، ومن الكذب على رسول الله:**

١ ـ الكذب في تبليغ الدين، فإن من الناس مَنْ يحدث عن رسول الله ﷺ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا كذب على رسول الله، يقول ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»[(٢)].

٢ ـ أن يقول الإنسان إن في الإسلام بدعة حسنة، والرسول ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[(٣)].

٣ ـ ومن الكذب على رسول الله: الكذبُ في ادّعاء المحبة والاتباع، فمن الناس من يدعي محبة رسول الله وهو لا يتمسك بسنته ﷺ، ولا يسلك منهجه وسبيله، ولا يدعو إلى سنته ﷺ، ومع ذلك فإنك تراه يدعي محبة رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، والرسول ﷺ يقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[(٤)].

٤ ـ ومن الكذب على رسول الله ﷺ: قول الذين يقولون: إن من احتفل بمولده ﷺ فهو المحبّ له، ومن لم يحتفل بمولده ﷺ فهو

---

(١) **صحيح**: خ: (١١٠)، م: (٣).

(٢) **صحيح**: مقدمة صحيح مسلم باب (وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين...).

(٣) **صحيح**: ن: (١٥٧٨)، خز: (١٧٨٥)، [«ص.ج» (١٣٥٣)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

المبغض!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، فالمحب الحقيقي لرسول الله ﷺ هو المتبع لسنته، وهو السالك لسبيله، وهو السائر على منهجه، فها هم صحابة رسول الله ﷺ وهم أحب الناس لرسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أحب إلى أحدهم من نفسه وماله والناس أجمعين، ومع ذلك لم يحتفلوا بمولده ﷺ يوماً في السنة، إنما كانوا يحتفلون بمولده ﷺ مع كل نَفَسٍ يخرج منهم، حتى قدموا الأموال والأرواح فداءً لدينه ولسنته.

ولعل من أقوى ما نستدلّ به على ما ذكرنا آنفاً ـ من أن دليل المحبّة الحقيقية هو الاتّباع ـ أُولئك القوم الذين ذُكِر في القرآن أنهم ادعوا المحبة فكذبهم الله، حيث قالت اليهود يوماً: إبراهيم ﷺ منا، وقالت النصارى يوماً: إبراهيم ﷺ منا، فكذَّبهم الله في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨]. إذاً أصدق الناس بمحبّة إبراهيم عليه السلام هم أولى الناس به وهم الذين اتبعوه على عقيدة التوحيد! واتبعوه وسلكوا منهجه فنالوا رضا الله عز وجل والجنّة وبناءً على هذا نقول: إن أولى الناس بمحمد ﷺ للذين اتبعوه، وسلكوا سبيله، وتمسكوا بسنته، ولم يبتدعوا في دين الله.

***عباد الله!* ومن أنواع الكذب: الكذب على الناس.**

وهناك الكثير من الناس ممّن يكذب في حديثه، في تجارته، في شهادته، مع أن الكذب جريمة، يقول ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما سمع**»(١)، فإياك إياك أن تحدث الناس بكل ما تسمع ولكن حدثهم بما صح مما سمعت. والكذب في البيع والشراء، وكذلك واقع في الأمة، حتى أصبح الكذاب هو التاجر وهو صاحب الأموال، وهو الذي يشار إليه بالبنان لأنه إذا باع كذب، وإذا اشترى كذب، وإذا دفع كذب، وإذا وعد

---

(١) **صحيح**: م: (٥).

كذب، والرسول ﷺ يقول: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»[(١)]. أعرفتم يا أمة الإسلام لم نزع الله البركة من أيدي التجار ـ إلا من رحم ربي؟ السبب: الكذب في البيع والشراء، والكذب في الدفع والأخذ، والكذب في الوعود.

● ومن الكذب أيضاً، الكذب في الشهادة، فشاهد الزور ـ الذي بدينار واحد تستطيع أن تتحصل عليه ـ كذاب. لأن الله ﷻ قال: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

● ووصف سبحانه وتعالى عباده الصالحين المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]. ويقول ﷺ منكراً ومشدداً ومحذراً من شهادة الزور: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان مُتكئاً فقال: «ألا وقول الزور**»، فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٢)].

أمة الإسلام! الكذب جريمة، وطريق إلى النار، فاتقوا الله ﷻ واحفظوا ألسنتكم وكونوا مع الصادقين.

الكذب جريمة لأنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والكذاب لا يزال يكذب ويتحرى الكذب في حديثه، وفي بيعه، وفي شهادته، حتى صار الكذب يجري منه مجرى الدم، فالكذّاب مجرم لأنه يتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً. يقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[(٣)]. فاتقوا الله في ألسنتكم وكفوها إلا من قول الخير، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

واستجابة لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[١]، واستجابة لقوله ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»[٢]. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»[٣]، وقال رجل: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: «**قل: ربي الله، ثم استقم**»، قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**»[٤]، وقال رجل: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[٥]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «**كف عليك هذا**» ـ وأشار إلى لسانه ـ قال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»[٦].

فاتقوا الله في ألسنتكم، وفي مجالسكم، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، واتقوا الله وعليكم بالصدق فإن فيه النجاة في الدنيا والآخرة،

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٧٢)، م: (٤٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/٣٩٨)، ع: (١١/٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (١١)، م: (٤٢).

(٤) **حسن صحيح**: ت: (٢٤١٠)، هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، ك: (٤/٣٤٩)، طب: (٧/٦٩)، هب: (٤/٢٣٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

(٥) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٠٦)، حم (٥/٢٥٩)، طب (١٧/٢٧٠)، هب: (١/٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

(٦) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هـ: (٣٩٧٣)، حم: (٥/٢٣١)، ك: (٢/٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، طب: (٢٠/١٣٠)، هب: (٣/٣٨)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].

استجيبوا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]. واستجيبوا لقوله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل ليكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[١].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

* * *

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).



المجرم الخامس عشر ـ المصور

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الخامس عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المصور»**.

عباد الله! المصور ـ أتعرفونه؟! إنه من يقوم بصناعة الصور والتماثيل لذوات الأرواح سواء نحتها بيده أو صنعها باستخدام آلة التصوير أو رسمها بيده، والإسلام حرم الصور والتماثيل.

عباد الله! المصور مجرم. وهذه رسالة نوجهها إلى المصورين؛ تحذيراً وتذكيراً.

فنقول لكل واحد منهم:

أولاً: أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]. يقول عكرمة في تفسير هذه الآية: «هم الذين يصنعون الصور»[(١)]، هؤلاء قد لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً. ويقول ﷺ: «**لعن الله الواشمة والمستوشمة، وآكل الربا ومُوكِلهُ، ولعن المصور**»[(٢)].

ثانياً: أيها المصور، أنت عند الله ظالم، يقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرّةً، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»[(٣)].

---

(١) ش: (٥/٢٠٨)، حل: (٣/٣٣٨)، وكذلك انظر تفسير ابن كثير (٣/٦٨٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٢١٢٣)، (٥٦٠١).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٩)، م: (٢١١١).

ثالثاً: أيها المصور يوم القيامة وأنت في أرض المحشر إذ خرج الناس حفاة عراة غرلاً، وجيء يومئذٍ بجهنم أتدري ما يفعل بك يومها أيها المصور؟! اسمع ما يقول رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وُكلت بثلاثةٍ: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين**»(١)، فأين المفر؟! وأين المهرب أيها المصور يوم القيامة وهذا العنق يبحث عنك في أرض المحشر من بين الناس ليأخذك.

رابعاً: أيها المصور: ثم هناك في النار ستجد العذاب الأليم ينتظرك، يقول ﷺ: «**إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»(٢)، فليحذر من يحمل الكاميرا طوال يومه وليله يصور ويلتقط الصور للذكرى، في الأعراس وغيرها، ويملأ بيته بالصور والتماثيل يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(٣)، وقال ﷺ: «**يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهِئون بخلق الله تعالى**»(٤).
(وجاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن الصور فقال له: أدن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا، حتى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يُجعل له بكل صورةٍ صورها نفساً فتعذبه في جهنم**»)(٥). وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: «من صوَّر صورةً في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ»(٦). أيها المصور! اعمل ما شئت، إن الله بما تعمل بصير.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٢/ ٣٣٦)، هب: (٥/ ١٩٠)، [«ص.ج» (٨٠٥١)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٠٦)، م: (٢١٠٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٦١٠)، م: (٢١٠٧).
(٥) **صحيح**: م: (٢١١٠).
(٦) **صحيح**: خ: (٢١١٢)، م: (٢١١٠).

خامساً: أيها المصور: أنت عند الله من شر الناس إن لم تتب؛ تقول عائشة ﵂: لما اشتكى النبي ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها «مارية»، وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «**أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ خلق الله**»(١).

عباد الله! التصوير جريمة والمصور مجرم، ولذلك جاء الإسلام فأعلن الحرب على الصور والمصورين.

والدليل على ذلك:

تقول عائشة ﵂: «حشوت للنبي ﷺ وسادةً فيها تماثيل كأنها نمرقةٌ، فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه، فقلت: ما لنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**ما بال هذه الوسادة؟**»، قالت: وسادةٌ جعلتها لك لتطضجع عليها. قال ﷺ: «**أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورةٌ، وأن من صنع الصورة يُعذبُ يوم القيامة، يقول: أحيوا ما خلقتم**»(٢)، وفي رواية: «**أن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة**»(٣)، وزاد الشافعي: قالت عائشة ﵂: «فما دخل حتى أخرجتها»(٤).

دليل آخر:

عن أبي الهيَّاج الأسدي قال: قال لي عليٌ ﵁: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدَع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)(٥)، حرب على الصور والمصورين!

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٧٦)، م: (٥٢٨). (٢) **صحيح**: خ: (٣٠٥٢).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٨٨٦). (٤) **صحيح**: [«غاية المرام» (ص٩٦)]
(٥) **صحيح**: م: (٩٦٩).

وهنا سؤال مهم، وهو:

لماذا حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح؟ أو ما هي العلة التي من أجلها كان تحريم الصور والتماثيل لذوات الأرواح؟

أولاً: لأن الصور والتماثيل فيها مضاهاة لخلق الله ـ أي مشابهة لخلق الله.

والدليل على ذلك:

يقول ﷺ: «**أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى**»[١]، ويقول ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يُعذبون ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٢]، ويقول ﷺ: «**قال الله ﷻ: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»[٣]. إذن العلة: المضاهاة لخلق الله، أي: المشابهة لصنع الله.

ثانياً: حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح، لأنها مظهر من مظاهر الوثنية، وطريق يوصل إلى عبادة الأصنام، فما دخلت الوثنية إلى الأمم الغابرة إلا عن طريق الصور والتماثيل، وقد جاءت الأدلة تبين أن الأصنام التي عبدها قوم نوح، والتي ذكرت لنا في القرآن كانت في الأصل أسماء لرجالٍ صالحين من قوم نوح فلما ماتوا جميعاً حزن قومهم عليهم حزناً شديداً فصنعوا لهم الصور والتماثيل تذكيراً بهم وبأعمالهم، فلما طال الأمد، وانتشر الجهل، وقل العلم، عبدوهم من دون الله ويظهر لنا ذلك من قوله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٠)، م: (٢١٠٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٧١١٨)، م: (٢١٠٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٩)، م: (٢١١١).
(٤) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).

ثالثاً: حرم الإسلام الصور والتماثيل لذوات الأرواح، لأنها تمنع الملائكة من دخول البيت يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[(١)]. فالذين ملئوا بيوتهم بالصور والتماثيل، فليعلموا أن الملائكةَ لا تدخل بيوتهم، والبيت الذي لا تدخله الملائكة بيت قد امتلأ بالشياطين فأهله في ضياع، وأهله قد مستهم الشياطين، فالعذاب من داخل هذا البيت على أهله، والسبب ـ الذي ربما يعتبرونه بسيطاً في أعينهم ـ هو عدم دخول الملائكة البيت، فالرسول ﷺ يقول: «**أتاني جبريل** عليه السلام **فقال: إني كنت أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلتُ عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان على الباب تماثيلٌ، وكان في البيت قِرامُ سترٍ فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمُر برأس التمثال الذي في البيت فليُقطعُ فيصير كهيئة الشجرة، ومُر بالستر فليقطع فيجعل وسادتين منبوذتين توطئان، ومُر بالكلب فليخرج**»[(٢)]، «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلبٌ**»[(٣)]، وهذا هو العلاج أن تقوم بقطع رأس التمثال فلا يعود بعد ذلك سبباً مانعاً من دخول الملائكة، فيصير كهيئة الشجرة، وأما الستر فيقطع لتتغير معالم الصورة.

عباد الله! التصوير جريمة نكراء، لأنها مضاهاة لخلق الله، ومشابهة لصنع الله، وهو مظهر من مظاهر الوثنية، وطريق يوصل إلى عبادة الأصنام.

- والمصور مجرم، لأنه بهذا العمل الخبيث عرض نفسه لسخط الله، وعرض نفسه للعنة الله، وعرض نفسه للعذاب الأليم يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: د: (٤١٥٨)، ت: (٢٨٠٦)، حم: (٢/ ٣٠٥)، هب: (٥/ ١٨٩)، [«ص.ج» (٦٨)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٥٥).

ولعلّ بعض الناس يسأل:

ما الذي يحل صنعه أو استعماله من هذه الصور ولا يحرم؟

أولاً: الصور والتماثيل لما ليس له روح كالأشجار والأنهار والجبال والمناظر الطبيعية.

والدليل على ذلك:

حديث ابن عباس رضي الله عنه حين سأله الرجل عن حكم التصوير، فبيّن ابن عباس له أن التصوير حرام، ثم قال للرجل ناصحاً: (إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له)[١]. وهذا حلالٌ وفيه الحل للمصورين الذين يقولون: نحن نعيش من وراء هذه المهنة، نقول: إن كنت لا بد فاعلاً فعليك بتصوير الأشجار والأنهار والجبال والمناظر الطبيعية فهذا عمل مباح لا حرمة فيه.

ونقول للذين علقوا الصور في بيوتهم وملئوا جدران البيوت بالصور، هذا هو العلاج: انزعوا تلك الصور التي هي لما فيه روح وضعوا مكانها منظراً طبيعياً بذلك ترضوا ربكم، وتبتعدوا عن سخطه، وتسمحوا للملائكة أن تدخل بيوتكم، وبهذه العودة والتوبة إلى الله تخرج الشياطين من البيت وتدخل الملائكة.

ثانياً: من الصور المباحة والتي لا تحرم:

١ ـ لعب البنات البسيطة المتواضعة التي تصنع من القماش والقطن حيث تتدرب عليها الجارية الصغيرة، كيف تربي أولادها عندما تكبر، فلقد سمح الشرع للبنات بهذه اللعب.

٢ ـ وكذلك الصور التي فيها فائدة متحققة للأمة الإسلامية، والتي تحتاج إليها الأمة كالتصوير في الطب وفي الجغرافيا، والتصوير للمجرمين أو الذين يضرون بالناس لمطاردتهم والتحذير منهم، فلا بأس بتصوير

(١) **صحيح**: م: (٢١١٠).

المجرم، ونشر صورته لتحذير الناس منه، فهذا شرعاً لا حرمة على المصوَّر فيه ولا حرمة على المصوِّر نفسه.

٣ ـ وكذلك التصوير للمعاملات الرسمية كالجوازات والهوية، والشهادات وغير ذلك مما فيه مصلحة فلا بأس في ذلك، لأنها ضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، بل هناك أدلة شرعية تسمح بذلك وهي النصوص التي جاءت وسمح فيها رسول الله ﷺ لعائشة أن تلعب بهذه الصور والتماثيل.

فيا إخوة الإسلام: إذا احتجنا إلى الصورة للضرورة فلا بأس في ذلك، ولكن يا إخوة الإسلام التصوير في ليلة العرس، ما هي الفائدة فيه؟ أجيبوا يا من ملأتم البيوت بهذه الصور أقول: والله لا فائدة في ذلك إنما هي الفضيحة والرياء لأن المصوِّر، يصور من يرقصون مع النساء، ويصور الرجال وهم يأكلون الطعام، ويصور السيارات وما فيها من نساء متبرجات ويصور الناس وهم يمشون في الشوارع، فما هي الفائدة من ذلك؟ إن ذلك تضييع للأموال والوقت ومعصية لله ﷻ، فاتقوا الله عباد الله.

التقاط الصور في الجامعة للشاب مع صاحبته، وحبيبته، مع زميلته في الجامعة ثم يحتفظ كل منهما بهذه الصور، فما هي الفائدة من ذلك؟

أيتها الفتاة تخيلي أنك قد تزوجت رجلاً صديقاً لهذا الشاب الذي التُقِطت صورتك معه فرأى زوجك يوماً صورتك مع هذا الشاب، تخيّلي ماذا يصنع؟ وماذا يقول؟ وماذا يزين له الشيطان؟ يقول له: إنكِ كنتِ في يومٍ ما تحبين هذا الشاب فيؤدي ذلك إلى طلاقك.

إذاً فهذه الصور التي توجد في بيوتنا لا ضرورة لها، ولا فائدة فيها، على المسلم العاقل أن يتقرب إلى الله بتمزيقها، وأيضاً الصور التي علقت على الجدران لذوات الأرواح عليه أن يقوم باستبدالها بالمناظر الطبيعية، وكذلك الأصنام التي ملأت البيوت عليه أن يقوم بتكسيرها، أي: عليه أن يقطع رأسها ليسمح للملائكة أن تدخل بيته ليشعر بطعم السعادة، ولعلكم

بعد هذا قد عرفتم يا عباد الله لماذا الكثيرُ من الرجال والنساء والأطفال يشتكون من مسِّ الشياطين؟! السبب: أنهم ينامون في بيوت لا تدخلها الملائكة، وتملأها الشياطين.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

٢٠٢

المجرم السادس عشر ـ الساحر

عباد الله! النار أعدها الله ﷻ للمجرمين جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم السادس عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الساحر»**

***أمة الإسلام!* أتعرفونه؟**

الساحر: الذي يدَّعي علم الغيب.

الساحر: الذي يعمل الحجب.

الساحر: الذي يفرق بين المرء وزوجه.

الساحر: الذي يكذب على الناس، ويدعي أنه يشفي المرضى بدون إجراء العمليات الجراحية، وكل ذلك كذب وافتراء، ودجل وشعوذة.

فتعالوا بنا عباد الله لنتعرف على هذا المجرم، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

١ ـ الساحر مجرم بنص القرآن، قال تعالى عن سحرة فرعون بعد أن آمنوا: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠]. وبعد أن هددهم فرعون بالقتل والتصليب على جذوع النخل قالوا له: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٥].

فقول السحرة هذا بعد أن آمنوا، دليلٌ على أن من لقي الله ﷻ ساحراً كافراً ـ لم يؤمن ولم يتب قبل أن يموت ـ لقي الله مجرماً يوم القيامة.

٢ ـ الساحر شيطانٌ من شياطين الإنس، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣ ـ الساحر يتعامل ويتعاون مع شياطين الجن.

أمة الإسلام! اعلموا أن هناك تعاوناً بين شياطين الإنس وشياطين الجن، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]. فهناك تعامل بين شياطين الإنس والجن، وقد علمتم أن السحرة من شياطين الإنس.

عباد الله! عقد التعامل، عقد الاستخدام، عقد التعاون الذي يتم بين شيطان الإنس وشيطان الجن يكون على النحو التالي:

الطرف الأول: شيطان الجن.

الطرف الثاني: شيطان الإنس وهو «الساحر»؛ إذ يتعهد الطرف الأول (وهو شيطان الجن) أن يتعاون مع الطرف الثاني (وهو شيطان الإنس الساحر)، وأن يقدم الخدمات التي يطلبها الطرف الثاني (وهو الساحر) ولكن مقابل أن يقوم الطرف الثاني (وهو الساحر) بالمعاصي والشركيات والكفريات التالية:

أولاً: أن ينتعل الساحر كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ في قدميه ويدخل به بيت الخلاء.

ثانياً: أن يقوم الطرف الثاني وهو الساحر بكتابة القرآن الكريم بالشيء النجس كالعذرة والبول ودم الحيض.

ثالثاً: أن يقوم الساحر أو الساحرة بوضع شيءٍ من كلام الله في الأماكن النجسة كمكان قضاء الحاجة، ومحلِّ دمِ الحيض عند المرأة، وغير ذلك إرضاء للطرف الأول وهو شيطان الجن.

رابعاً: أن يقوم الساحر (وهو شيطان الإنس) بوضع القرآن الكريم في بيت الخلاء ثم يبول عليه.

خامساً: يطلب الطرف الأول من الطرف الثاني (الساحر) أن يرتكب فاحشة الزنا بأُمه أو أخته أو خالته أو ابنته.

سادساً: أن يقوم الساحر بذبح ذبيحة للشيطان، دون أن يذكر عليها اسم الله، بل ربما ذكر عليها اسم الشيطان.

سابعاً: قد يقوم الساحر أحياناً بفعل الفاحشة بالمرأة التي تأتي إليه، لأن الشيطان لا يذهب إلى إحضار السحر إلا بعد أن يطلب من الساحر أن يفعل الفاحشة بالمرأة التي أتت إليه، ولذلك ترى كثيراً من النساء إذا ذهبت إلى الساحر أدخلها غرفة مظلمة، أتدرون ما هذه الغرفة المظلمة؟! إنها غرفة العمليات التي يتم فيها التعامل بين الطرف الأول والطرف الثاني، فإن طلب الساحر من الجني أن يحضر له السحر الذي صُنع لهذه المرأة تمرد الشيطان عليه، وقال له: هذا السحر لا يمكن فَكُّه إلا بعد أن تفعل الفاحشة بهذه المرأة.

أمة الإسلام! أما قرأتم هذه الآية، قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

أفاكٍ: أي: أنه يتفنن في الكذب وهو الساحر، وأظن أن هذه مهنته.

أثيم: أي: أنه يتفنن في معصية الله كما سمعتم من خلال صور التعامل بين الطرفين.

أعرفت يا ابن آدم! إذا ذهبت إلى الساحر، وأخبرك باسمك، واسم زوجتك، وأين تسكن، وما هو المرض الذي تشتكيه، أعرفت من أين علم ذلك؟ من غرفة العمليات السوداء المظلمة، حيث أخبره بذلك قرينك من

الجنّ قبل أن تذهب إليه! نعم، فإن الجني الذي يتعامل مع الساحر يأخذ هذه المعلومات من الجني الذي معك ثم يقدمها للساحر، فإذا ما دخلت أنت على الساحر أخبرك بذلك، فإذا كنت جاهلاً بدينك قدمت الولاء والطاعة لهذا الساحر وظننت أنه وليٌّ من أولياء الله!!

٤ ـ الساحر من المفسدين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨١]. فهذا شاهد على أن الساحر من المفسدين في الأرض، فهو يؤذي المؤمنين والمؤمنات، ويفرق بين المرء وزوجه، ويُبّغض المرأة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته، والأم إلى ابنها وغير ذلك من الإيذاء الذي يقوم به الساحر، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال تعالى مبيناً أن من أعمال السحرة التفريق بين المرء وزوجه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٥ ـ الساحر لا يفلح أبداً، ولا بد أن يفضحه الله ولو بعد حين، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩]، فكيف تعتقدون بعد كل هذا أنه يجري العمليات بدون جراحة؟! أو تعتقدون أنه يشفي المرضى!! وكيف تركضون إليه بعد هذا وتدفعون له الأموال الطائلة؟! أين العقول؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: ٧٦، ٧٧].

٦ ـ الساحر لا خلاق له في الآخرة، أي: لا نصيب له ولا أجر له عند الله يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي

ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٧ ـ الساحر حده في الإسلام القتل، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأنه جرثومة في المجتمع المسلم يؤذي المؤمنين والمؤمنات، بما يدعي من الغيب، وهو يفرق بين المرء وزوجه، وهو يكذب على الناس، ويفرق بين الأحبة، ولذلك كان حده في الإسلام أن يضرب بالسيف، والدليل على ذلك:

أولاً: أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى الأمصار: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)، فقتلوا ثلاث سواحر(١).

ثانياً: قال جندب رضي الله عنه: (حد الساحر: ضربةٌ بالسيف)(٢).

ثالثاً: (حفصة رضي الله عنها سحرتها جاريةٌ لها فأمرت بها فقُتلت)(٣).

رابعاً: قال الإمام مالك رحمه الله: (الساحر الذي يعمل السحر أرى أن يقتل).

خامساً: قال ابن حجر رحمه الله: (حكم الساحر حكم الزنديق فلا تقبل توبته، ويقتل حداً إذا ثبت عليه ذلك، وبهذا قال الإمام مالك وأحمد).

عباد الله! هل يجوز للمسلم أن يتعلم السحر أو يعلمه؟

الجواب: لا بل هذا حرام، وهذا الحديث الذي يتداول بين الجهلة: (تعلموا السحر ولا تعملوا به)، كذب، ولا يصح، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فع: (١٧٦١)، قط: (٢/ ١٥٤)، ع: (٢/ ١٦٦)، بز: (٣/ ٢٦٨)، عب: (٦/ ٤٩)، ش: (٥/ ٥٦٢)، هق: (٨/ ١٣٦).

(٢) **ضعيف مرفوعاً:** ت: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ٤٠١)، قط: (٣/ ١١٤)، طب: (٢/ ١٦١)، عب: (١٠/ ١٨٤)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ض.ج» (٢٦٩٩)].

(٣) فع: (١٧٦١)، طب: (٢٣/ ١٨٧)، عب: (١٠/ ١٨٠)، ش: (٥/ ٤٥٣)، هق: (٨/ ١٣٦).

عباد الله! يحرم على المسلم أن يتعلم السحر أو يعلِّمه غيره. لأن الله ﷻ ذكر السحر في موضع الذم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

● وقد حذر النبي ﷺ من السحر ومن الاقتراب منه، فعده ﷺ من الموبقات، فقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال ﷺ: «**الشرك بالله والسحر..**»[١]، وقال ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[٢]. وفي هذا دليل على حرمة تعلم السحر.

عباد الله! هل يجوز للمسلم أن يذهب إلى الساحر أو الكاهن، أو العراف، لعمل السحر أو لفك السحر أو للعلاج؟

الجواب: لا، بل حرم الإسلام ذلك، قال الرسول ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تُطُيِّر له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[٣]. وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»[٤]. قال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»[٥]، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩)

(٢) **صحيح**: د: (٣٩٠٥)، هـ: (٣٧٢٦)، حم: (١/ ٢٢٧)، طب: (١١/ ١٣٥)، ش: (٥/ ٢٣٩)، هق: (٨/ ١٣٨)، [«ص.ج» (٦٠٧٤)].

(٣) **صحيح لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٣٠٤١)].

(٤) **حسن لغيره**: «حب: (٦١٣٧)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٥٠)].

(٥) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٦) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، لس: (٣٨٢)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، حل: (٨/ ٢٤٦)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

عباد الله! هل للسحر حقيقة وتأثير؟ هل يستطيع الساحر أن يفرق بين المرء وزوجه؟ هل يستطيع أن يفعل ويفعل..؟ من نظر في أدلة القرآن وأدلة السنة علم أن السحر موجود، وأن له حقيقة، وأساتذة السحر في العالم هم اليهود الذين يعلمون الناس السحر وينشرونه بين الناس في كل زمان ومكان، ولكن هذه الحقيقة وهذا التأثير من الساحر على المسحور لا يضر أبداً إلا بإذن الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فيا إخوة الإسلام: **ما هو علاج السحر إن وقع؟**

علاج السحر نوعان:

علاجٌ حرام، وعلاج حلال.

فافهموا وعوا، يا من تسمعون عن السحر وضرره، وخطورته على الدين والعرض، ثم بعد ذلك تذهبون إلى السحرة والمشعوذين.

العلاج المحرم: هو أن تذهب إلى الساحر فيقوم الساحر ـ كما سمعتم بالتعاون مع الجن ـ بفك السحر، ونقول: لو أنك ذهبت إلى الساحر وفك لك السحر، أو عالجك من المرض، أو فعل لك ما تريد، فإنك تكون قد وقعت في المحرم، وعصيت الله ﷻ، وقدمت أنت والساحر ثمناً غالياً، وهو أن يقوم الساحر بالمعاصي والشركيات والكفريات كما سمعتم، فالساحر قد قدم ثمناً غالياً لأنه خسر دينه وقدمه ثمناً لذلك، والذاهب إلى الساحر قدم كذلك ثمناً غالياً لأنه قد سمع الرسول ﷺ قال: «**ليس منا... من سَحَر أو سُحِرَ له**»[١]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مؤمن بسحر**»[٢]، وقال ﷺ: «**من أتى كاهناً أو عرافاً، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[٣].

عباد الله! أتذهبون بعد ذلك إلى الساحر؟ احذروا ادعاءاته الكاذبة

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة. (٢) ما سبق.

(٣) ما سبق.

بأن يقول: أنا أشفي بالقرآن، فإنه دجال، ويضع السم في العسل، فاحذروا واسألوا عنه قبل أن تذهبوا، هل هو من العلماء الأتقياء الصالحين المشهود لهم بالخيرية حتى يشفي بالرقى المشروعة؟ هل هو طبيب تخرج من كلية الطب فيقوم بالعمليات الجراحية وهذا عمل مشروع؟ أم أنه دجال؟ أم أنه لا يصلي في المسجد؟ أم أنه يقرأ شيئاً من القرآن ثم يتكلم بطلاسم غير مفهومة.

العلاج الحلال: فهو أولاً: أن تتسلح بالعقيدة الصحيحة، وهو أن تعلم أيها المؤمن أنه لا يكشف الضر إلا الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، فالذي أصابك بالضر هو الذي يكشفه عنك، وربما قال أحدكم: الاستعانة بالساحر سبب من أسباب الشفاء؟ وهذا نقول له: إن هناك أسباب مشروعة وأسباب محرمة، فإن كان الشفاء في سببٍ غير مشروع كالخمر فهل يجوز لك أن تتداوى بالخمر مثلاً؟ الجواب: لا، فهذا حرام.

ثم عليك أن تتذكر أيها المسلم أن الذي يجيب الدعاء هو الله وحده، والذي يكشف السوء هو الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وعلى المؤمن أن يعلم أن الأمور كلها بيد الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود: ١٢٣]، فالتي تريد أن تتزوج لن يزوجها الساحر بحجاب! إنما الذي يُهَيِّءُ لها أسباب الزواج هو الله.

والمريض الذي يريد الشفاء، الذي بيده الشفاء هو الله.

والذي لا ينجب الأولاد الذي يعطيه الأولاد هو الله.

وليعلم المسلم أن الله سبحانه وتعالى له سنن منها قول رسوله صلى الله عليه وسلم: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك**

إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١). أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن تحفظ الله يحفظك من السحرة، ومن الأمراض ومن المعاصي، وقول الرسول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمرهُ كلهُ له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٢)، وجاءت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ فقالت: إني أُصرعُ وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله ـ تعالى ـ أن يعافيك**»، قالت: أصبر، قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»(٣).

ثانياً: عليك أن تتسلح بذكر الله، لأن ذكر الله حصن حصين يمنع من تأثير السحر فيك بإذن الله.

ثالثاً: وإذا أُصبت بسحر فضع يدك واقرأ على نفسك أو على زوجك أو على ولدك إن أصابهم، اقرأ الفاتحة فهي شافية بإذن الله، اقرأ شيئاً من القرآن، اقرأ آية الكرسي، اقرأ سورة البقرة في بيتك، اقرأ المعوذات على نفسك وعلى أولادك، واعلم أن السحر لا يبطله إلَّا الله كما قال ربنا جلّ وعلا على لسان موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

* * *

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).

٢٠٣

المجرم السابع عشر ـ المتكبر

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم السابع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «المتكبر».**

المتكبر: هو من تكبر على الله، وتكبر على رسول الله، وتكبر على خلق الله.

عباد الله! وهذا رسولنا ﷺ يعرفنا بهذا المجرم لنكون منه على حذر، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر، قال رجلٌ: إن الرجل يُحبُ أن يكون ثوبه حسناً ونعلهُ حسنةً؟ قال ﷺ: إنَّ الله جميل يُحب الجمال، الكبر: بطرُ الحق، وغمط الناس**»[1].

وبطر الحق: هو رده ودفعه وإنكاره على قائله ترفعاً وتجبراً وتكبراً.

وهو كما فعل إبليس لعنه الله عندما أمره الله ﷻ أن يسجد لآدم فرد هذا الأمر واستكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]. ولما سأله الله ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ كان جوابه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، فتكبر ورد أمر الله ﷻ.

وهذا الذي أكل بشماله عند رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «**كل بيمينك**»، قال الرجل: لا أستطيع، فقال ﷺ: «**لا استطعت**»، ما منعه إلا

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

الكبر، قال: فما رفعها ـ يعني يده ـ إلى فيه[١]، أي: شُلَّت يده؛ فكم منا يا أمة الإسلام رد أمر الله، ورفض أمر رسول الله ﷺ؟! فهذا هو الكبر.

وغمط الناس: أي: احتقارهم والتعالي والتكبر عليهم، فهناك من الناس من ينظر إلى البشر باحتقار، إما لأنه صاحب مال، وإما لأنه صاحب جاه، أو لأنه من عشيرة فلان أو لأنه ابن فلان فتراه ينظر إلى الناس بتكبّر، فيحتقر خلق الله، ويتكبر عليهم.

عباد الله! المتكبر هو مَنْ يرفض الحق ويدفعه، وهو أيضاً مَنْ يحتقر عباد الله.

المتكبر مجرم بنص القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣].

عباد الله! وهذه رسالة نوجهها للمتكبرين، ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

أولاً: أيها المتكبر! النارَ النارَ! أي: احذر النار! احذر العذاب! وهل أعدت النار إلا للمتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ابن آدم: ما الذي منعك أن تسجد لله؟ إنه الكبر، ما الذي منعك أن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

تأتي لكل صلاة في بيت الله؟ إنه الكبر، ما الذي منعك أن تستجيب لأمر رسول الله؟ إنه الكبر، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**» قالوا: بلى، قال: «**كل عُتُلٍّ جَوَّاظ مستكبر**»[١]، ويقول ﷺ: «**العزُ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذّبته**»[٢].

ويقول ﷺ: «**احتجّت النار والجنّة، فقالت هذه: يدخلني الجبّارون والمتكبّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ لهذه: أنت عذابي أُعذّب بك من أشاء ـ وربما قال: أصيب بك من أشاء ـ وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها**»[٣].

ثانياً: أيها المتكبر! إن الجزاء عند الله من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

ففي الدنيا: الذل والهوان، والهلاك، والدمار، للمتكبرين، والعاقل من اتعظ بغيره.

فهذا فرعون تكبر بملكه فأهلكه الله.

وهذا قارون تكبر على قومه بماله فأهلكه الله.

وقوم عاد لمّا تكبروا على الناس بقوتهم أهلكهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]. ويقول ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه، مرجل جمّته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).

أيها المتكبر! اعتبر بمن سبقك، فالله للمتكبرين في الأرض بالمرصاد! وتأمّلوا يا عباد الله كيف أن المتكبّر الذي كان يستعلي على الناس بنفسه وماله قد خسف الله به الأرض، فإنه لمّا ارتفع بنفسه عن الناس إلى أعلى كان الجزاء له من جنس عمله بأن خسف الله به الأرض فهو ينزل في الأرض إلى أسفل إلى يوم القيامة!

أما الجزاء في الآخرة: فإن الله ﷻ يحشر المتكبرين يوم القيامة في أسوأ صورة، يغشاهم الذل من كل مكان تطؤهم الأقدام، يقول ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر** ـ أي: النمل الصغير ـ **في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يُسمى بُولُس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[(١)].
إذن كل من تكبّر في هذه الدنيا حُشِر يوم القيامة أمثال الذر ـ أي النمل الصغير في صور الرجال تطؤهم الأقدام من احتقارهم وصَغارهم.

ثالثاً: أيها المتكبر! اعلم أن الجنة لا يدخلها متكبر، لأن الله أعد الجنة للمتواضعين. قال ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].
ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)].

رابعاً: أيها المتكبر: يقول الله ﷻ في كتابه محذراً: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

أيها المتكبر! إنك مهما ضربت الأرض برجليك فإنك لن تخرق الأرض، ومهما ارتفعت برأسك وعلوت على الناس فإنك لن تبلغ الجبال طولاً، ويقول الله لك: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِلَٰهُكُمْ

---

(١) **حسن:** ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/ ١٧٩)، خد: (٥٥٧)، [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح:** م: (٩١).

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٢، ٢٣]، وهذا إخبار لك من الله ﷻ أيها المتكبر بأنه سبحانه وتعالى لا يحبك، ويقول الله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦]. أي: يخبرك الله ﷻ أيها المتكبر أنك ستكون مصروفاً عن كل خير بسبب أنك تكبرت على الله، وعلى رسول الله، وعلى خلق الله.

خامساً: أيها المتكبر، يقول لك الرسول ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد**»(١)، ويقول ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»(٢)، ويقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»(٣).

انظروا إلى العقاب الذي سيحل بهؤلاء، وهذا لأن الشيخ الزاني ليس بحاجة إلى الزنا لأنه قد كبر سنّهُ.

والملك الكذاب يكذب وهو ليس بحاجة إلى الكذب، فلا أحد من الناس يسأله عمّا يفعل أو يقول.

أما العائل المستكبر، فهو فقير محتاجٌ ومتكبر؟! والرجل قد يتكبّر عندما يمتلك المال ـ هذا ممكن، وإنْ كان ذلك لا يجوز شرعاً ـ أما فقير ومتكبر فهذه جريمة!!.

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٦٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٨).
(٣) **صحيح**: م: (١٠٧).

كبر»[١]، وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات... فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[٢]. وقال ﷺ: «**من تعظم في نفسه، واختال في مِشْيته، لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان**»[٣].

عباد الله! الكبر جريمة، ومرض خطير يكمن في القلوب.

وهنا يرد سؤال مهم، ألا وهو:

كيف يعالج الإنسان نفسه من الكبر؟

أولاً: على الإنسان أن يعرف نفسه وقدره.

ابن آدم! إنك مهما بلغت من الغنى، ومهما بلغت من الجاه والسلطان والمال والقوة فعليك أن تعرف قدرك وأصلك، إنه الطين! فلا تنس أن أصلك، الطين، والتراب، وأنك ستعود إلى التراب. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ١٧ ـ ٢٢].

● وهذا صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف عندما تكبر على صاحبه الفقير وتعالى عليه بماله، قال له صاحبه الفقير الفقيه مذكّراً له بأصله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، فذكَّره بأصله، وأنت أيها الغني لا تنسَ أنك من تراب، وإلى التراب، أيها القوي إنك جئت من ضعف لأنك خلقت من نطفة، وأنت أيها الجميل لا تنسَ أنك خرجت من مجرى البول عند أبيك، ولعلّك تعلم من أين خرجت من أمك، اعرفْ نفسك وقدرك حتى لا تعلو على الناس.

ثانياً: اعرف ربك أيها الإنسان، فالله ﷻ هو المتكبر، والله ﷻ قال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]، فلا

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

(٢) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].

(٣) **صحيح**: حم (٢/ ١١٨)، خد: (٥٤٩)، [«ص.ج» (٦١٥٧)].

يليق بك أيها الإنسان الضعيف أن تتكبر في الأرض، فالكبرياء لله وحده لا شريك له، يقول رسول الله ﷺ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»(١).

ثالثاً: اتعظ بمن قبلك من المتكبرين، وبما فعل الله بهم؟.

فهذا قارون: كان من قوم موسى فبغى عليهم ـ أي: تكبر عليهم ـ فماذا كان مصيره؟ لقد خسف الله به وبداره الأرض.

وهذا فرعون: قال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، فأهلكه الله في هذه الأنهار.

وقوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ أهلكهم الله بريح صرصر عاتية.

رابعاً: استعذ بالله من الكبر ومن المتكبرين.

فهذا موسى لما بلغه الخبر بأن فرعون يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٦، ٢٧]، عذتُ بربّي أي: التجأت إلى الله.

خامساً: عليك بمصاحبة المتواضعين، والتأسي بهم، وعلى رأسهم رسولنا ﷺ الذي ضرب لنا مثلاً أعلى في التواضع، فتواضع يا عبد الله، فإنك مهما جمعت من مال فأنت راحل عن الدنيا وتاركه خلفك! ومهما بلغت من المناصب فأنت ذاهب من الدنيا وتاركٌ لذلك كلّه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن ينجينا وإياكم من هذا المرض الخطير

اللهم طهر قلوبنا من الكبر

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).

٢٠٤

المجرم الثامن عشر ـ العاق لوالديه

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم الثامن عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «العاق لوالديه»**.

العاق لوالديه.. أتعرفونه؟!

إنه من يتأفف في وجه والديه، إنه من يسب والديه، إنه من يضرب والديه، إنه من يقدم زوجته على أمه، إنه من يقدّم صديقه على أبيه.

وعقوق الوالدين أصبح (موضة) العصر، فلقد كثر وانتشر في هذا الزمان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق والديه.

أولاً: لأنه عرَّض نفسه لسخط الله، يقول ﷺ: «**رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين، وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين**»[1]، فاعمل ما شئت أيها العاق لوالديك، فإن الله ساخط عليك.

ثانياً: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه عرَّض نفسه للعنة الله. يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥]. والعاق لوالديه نقض العهد الذي بينه وبين الله، فإن العاق لوالديه قد

---

(١) **حسن لغيره**: هب: (٦/ ١٧٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٠٣)].

قطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام، وهو كذلك من المفسدين في الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال ﷺ: «**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض**»[١].

ثالثاً: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه ارتكب أكبر الكبائر، يقول ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وجلس وكان متكئاً، فقال: «**ألا وقول الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٢]، وقال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه!**»، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «**يَسُبُّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسبّ أمه**»[٣]. وفي هذا العصر العجيب لعنٌ وضربٌ وسبٌ وشتمٌ، وكل هذا يخرج من الولد لوالديه! إن هذا لشيء عجاب!!

رابعاً: أيها العاق لوالديك، أنت مجرم في حق نفسك، لأنك حرمت نفسك من أن تدخل الجنة مع الداخلين، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٤] يعني قاطع رحم، والعاق لوالديه قاطع للرحم، وقال ﷺ: «**أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حقّ، والعاق لوالديه**»[٥].

ابن آدم! هل أنت واحدٌ من هؤلاء؟! وقال ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال،**

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٧٨). (٢) **صحيح**: خ: (٢٥١١)، م: (٨٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٢٨)، م: (٩٠).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٦٣٨)، م: (٢٥٥٦).
(٥) **ضعيف جداً**: ك: (٢/٤٣)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ض.ج» (٧٤٨)].

والديوث»(١)، والديوث هو: من يقرّ المنكر في أهله.

خامساً: العاق مجرم، لأن الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً، يقول ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يقبل الله ﷻ منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنان، ومكذب بقدر**»(٢)، وجاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إلٰه إلا الله، وأنك رسول الله، وصلّيت الخمس، وأدّيت زكاة مالي، وصمت رمضان؟ فقال النبيّ ﷺ: «**من مات على هذا كان مع النبيّين والصدّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا ـ ونصب أصبعيه ـ ما لم يعق والديه**»(٣).

سادساً: العاق لوالديه مجرم في حق نفسه، لأنه بعقوقه هذا لن يفلح أبداً، فإن جبريل عليه السلام دعا عليه والرسول ﷺ أمن على دعوته، فلقد صَعِدَ النبي ﷺ المنبر فقال: «**آمين، آمين، آمين**»، ثم قال: «**أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين**»(٤)، ـ أي: من أدرك أحد أبويه فقصر في برهما فمات وهو مقصّر دخل النارـ يقول جبريل: فأبعده الله، وهذا دعاءٌ منه عليه، ثم يقول جبريل لرسولنا ﷺ: قل: «**آمين**»، أي: أمِّن على هذه الدعوة، فقال ﷺ: آمين.

عباد الله! وهذه رسالة نوجهها إلى كل عاقٍ لوالديه تذكيراً وتحذيراً؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

أولاً: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن حق الوالدين من أعظم

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٢/ ١٣٤)، ك: (١/ ١٤٤)، طب: (١٢/ ٣٠٢)، طس: (٣/ ٥١)، هب: (٧/ ٤١٢)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

(٢) **حسن**: «كتاب السنة» لابن أبي عاصم: (٣٢٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٥١٣)].

(٣) **صحيح**: حب: (٤٣٣٨)، خز: (٢٢١٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٥١٥)].

(٤) **صحيح**: حب: (٤٠٩)، طب: (٢/ ٢٤٣)، طس: (٨/ ١١٣)، ع: (١٠/ ٣٢٨)، بز: (٤/ ٢٤٠)، هب: (٣/ ٣٠٩)، [«ص.ج» (٧٥)].

الحقوق بعد حق الله تبارك وتعالى؟ أما قرأت القرآن لتجد أن ربنا جل وعلا إذ أمر عباده بعبادته أمرهم بالإحسان للوالدين؟! يقول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وأتعجب ممن يحفظها عن ظهر قلب ثم يعقّ والديه!! وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ثانياً: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الله أوصاك بوالديك؟ نعم، إنها وصية من الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ويقول ﷺ: «**إن الله يوصيكم بأُمّهاتكم ـ ثلاثاً ـ إن الله تعالى يوصيكم بآبائكم ـ مرتين ـ إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[١].

ثالثاً: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الإسلام أمر بالإحسان إلى الوالدين وإن كانا على الكفر؟.

١ ـ عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[٢].

٢ ـ ومن قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يضرب لنا مثلاً أعلى في الإحسان إلى الوالد والتأدُّب معه وإن كان على الكفر، فها هو يدعو والده وينصحه، والله ﷻ سجل لنا ذلك قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٦٦١)، حم: (٤/ ١٣٢)، خد: (٦٠)، طب: (٢٠/ ٢٧٠)، هب: (٦/ ١٨٢)، هق: (٤/ ١٧٩)، [«ص.ج» (١٩٢٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٤٧٧)، م: (١٠٠٣).

ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥]، يا شباب الإسلام! انظروا إلى إبراهيم كيف كان يتكلم مع أبيه الكافر، ولينظر أحدكم كيف يتكلم هو مع أبيه المسلم، مع أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمرنا في كتابه بالإحسان للوالدين وإن كانا على الكفر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

رابعاً: أيها العاق لوالديك، أنسيت أن الإسلام قد قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله؟

فحين سُئل ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم برّ الوالدين**»، قلتُ: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»(١).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ: فقال: أُبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله ـ تعالى ـ، قال: «**فهل لك من والديك أحدٌ حي؟**»، قال: نعم بل كلاهما. قال ﷺ: «**فتبتغي الأجر من الله ـ تعالى ـ**»؟! قال: نعم: قال ﷺ: «**فارجع إلى والديك فأحسن صُحبتهما**»(٢).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد قال ﷺ: «**أحيٌ والداك؟**»، قال: نعم، فقال ﷺ: «**ففيهما فجاهد**»(٣).

خامساً: أيها العاق لوالديه، أنسيت أن بر الوالدين سبب لإجابة الدعاء، وسبب للفرج والنجاة من الأزمات؟ودليل ذلك:

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٤)، م: (٨٥). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٤٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٨٤٢)، م: (٢٥٤٩).

١ ـ يقول ﷺ: «**يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره**»(١)، أي: لو دعا لاستجاب الله له.

٢ ـ أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار، (**فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شيءٍ يوماً فلم أُرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج**)(٢).

فهل هناك أحدٌ يستطيع أن يفعل ذلك في هذا الزمن العجيب؟!! ـ زمن المفسديون والربا (والستالايت) ـ الجواب: لا، إلا من رحم ربي.

سادساً: أيها العاق لوالديه، أنسيت أن دعوة الوالدين مستجابة؟ أما خشيت أيها العاق لوالديك أن تقوم أمك في جوف الليل فتدعو عليك فيقصم الله ظهرك؟! أما خشيت أيها العاق لوالديك أن يقوم والدك من الليل فيدعو عليك فلا ترى خيراً في حياتك بعدها!! يقول ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم**»(٣)، ويقول ﷺ: «**ثلاث دعوات لا تُرد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٤٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣).

(٣) **حسن**: د: (١٥٣٦)، ت: (١٩٠٥)، حم: (٢/ ٢٥٨)، حب: (٢٦٩٩)، خد: (٣٢)، طس: (١/ ١٢)، ش: (٦/ ١٠٥)، هب: (٦/ ١٩٩)، [«ص.ج» (٣٠٣١)].

(٤) **حسن**: هق: (٣/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٣٠٣٢)].

عباد الله! إن عقوق الوالدين جريمة نكراء، والعاق لوالديه مجرم في حق نفسه، ومجرم في حق والديه، فمن كان منكم عاقٌّ لوالديه فعليه أن يتوب إلى الله، وأن يبرّ والديه استجابة لأمر الله تعالى، واستجابةً لأمر رسول الله ﷺ، فالله ﷻ يقول: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥]. أتستطيع أن تفعل ذلك يا عبد الله؟ إما يبلغن عندك ـ أي: في بيتك ـ أن تقوم ببرهما لا أن تذهب بهما إلى الملجأ كما يفعل من يقلدون الكفار حيث تراه إذا كبر والده وضعه في الملجأ، ثم زاره يوماً في السنة اليوم الذي يسمّونه بعيد الأم أو بعيد الوالدين!! إما يبلغن عندك، أي: في بيتك لتقوم أنت بالإشراف عليهما بالليل والنهار أحدهما أو كلاهما ولا تقل لهما: أف، ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. ومع ذلك أيضاً ادع لهما، وقل: ربي ارحمهما، فهذا ما تستحقه منك هذه الأم التي أرضعتك وحملتك، وسهرت عليك بالليل، وتمنت أن تكون رجلاً لكنك قابلت إحسانها إليك بالإساءة إذ أنت اليوم تدعو في كل لحظة على أُمّك أن يأخذها الله!!

فلاحظ الفرق يا أخا الإسلام، فكم من الناس في كل لحظة يدعو على والديه بالهلاك والدمار لأنه يريد أن يرث؟! يريد أن يستريح من هذا الهم؟! يريد أن يرضي زوجته وأولاده! أيها المسكين! الوالدان بابٌ إلى الجنة عندك، والجنة تحت قدم الأم، فاستجب لأمر رسول الله ﷺ الذي قال: «**الزم رجلها، فثمّ الجنة**»[1]، باب إلى الجنة عندك في البيت وأنت تتمنى أن يزول! يرزقك الله ﷻ بوجودها عندك في البيت، وأنت تتمنى لها أن تزول! فاتقِ الله.

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٧٨١)، طب: (٨/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٨٤)].

أيها العاق لوالديك استجب لأمر الله، واستجب لأمر رسول الله ﷺ، فلقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[1]، وكل هذا توصيةٌ بالأُمّ لأنها أرضعت وحملت، وسهرت، وتعبت، وتمنت لك الخير، فأحسن إلى الأم أولاً ثم إلى الأب، والجزاء لك عند الله من جنس عملك، وكما تدين تدان، ومن بر والديه بره أبناؤه، ومن عق والديه عقه أبناؤه.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



(١) **صحيح**: خ: (٥٦٢٦)، م: (٢٥٤٨).

٢٠٥

المجرم التاسع عشر ـ خطيب السوء

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم التاسع عشر، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «خطيب السوء»**.

أتعرفون خطيب السوء؟

إنه من يخطب في الناس بدون علم، إنه من يتخذ المنبر للسب والشتم، إنه من يُحَرِّضُ الناس على ولاة الأمر من خلال المنبر، إنه من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، إنه من يأمر الناس بالمعروف ولا يأتيه وينهاهم عن المنكر ويأتيه!

عباد الله! وحديثنا في هذا اليوم عن هذا المجرم سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: خطبة الجمعة: هل هي لذكر لله تعالى أم أنها للسبّ والشتم؟!

العنصر الثاني: هذا هو خطيب السوء فاحذروه!

العنصر الثالث: رسالة إلى الخطباء فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الأول: خطبة الجمعة: هل هي لذكر لله تعالى أم للسبِّ والشتم؟

هناك كثير من خطباء السوء يظنون ويعتقدون أن خطبة الجمعة فرصةٌ للسبّ والشتم، فتراهم يسبون الناسَ عامة، ويسبون ولاة الأمر خاصة. ويقول أحدهم مبرراً ذلك: إنها كلمة حق عند سلطان جائر ـ زعموا ـ!

ونسوا يا عباد الله أن خطبة الجمعة إنما هي ذكر لله، وإنما هي موعظة وتذكير يذكِّر الخطيب الناس فيها بالله، ويذكِّرهم باليوم الآخر، ويذكرهم بالموت والقبر والحساب والجزاء، ويذكِّرهم بالجنة والنار ليزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة، فإذا جاء الناس إلى خطبة وصلاة الجمعة خرجوا منها زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، فإنهم لم يأتوا إلى خطبة الجمعة ليسمعوا سباً وشتماً! أو ليسمعوا ملخصاً لنشرة الأخبار الأسبوعية! أو ليسمعوا تلخيصاً لعناوين صحُف الأخبار، لا يا عباد الله!.

- فتعالوا بنا إلى كتاب ربنا، وإلى سنة نبينا ليتبين لنا: هل شرعت خطبة الجمعة للسب والشتم، أم أنها شرّعت لذكر لله تبارك وتعالى؟

فالأصل يا عباد الله إذا اختلفنا في شيء أن نردّه إلى الله، والرسول، أي: إلى الكتاب والسنة، ومن هنا نقول: قال الله ﷻ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩]؛ فالله ﷻ سمى خطبة الجمعة ذكراً لله، ولم يقل ربنا في كتابه: فاسعوا إلى السب والشتم!!

فهذا نداء للمؤمنين بأن يبادروا ويسارعوا إلى المساجد يوم الجمعة ليستمعوا إلى خطبة الجمعة التي سماها الله ذكراً ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، فالرجل إذا جاء من بيته ملبياً لنداء الله إلى المسجد يوم الجمعة ليستمع إلى ذكر لله، ليتذكر بذلك الدار الآخرة، لكنه إذا جاء ولبّى النداء وجد الخطيب يخطبُ عن نشرة الأخبار الأسبوعية، وعما كُتِب في صحف الأخبار طوال الأسبوع، ويراه يسب فلاناً وفلاناً، ويحرض الناس على ولاة الأمر، يريد بذلك الفتنة! وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا)، لأنَّ الخروج على ولاة الأمر يملأ السجون بالشباب، ويهتك الأعراض، يُدْخلُ الناس في فتنة ما بعدها فتنة، فهو شر ما بعده شر، وإذا ظلم ولاة الأمر فأمرهم إلى الله، أما إذا خرج الناس على ولاة الأمر فخروجهم لا يأتي بخير أبداً، فخطيب السوء تراه يُلَمِّحُ تارة وَيُصَرِّحُ أخرى بأن يخرج الناس على ولاة الأمر.

ثم الدليل من السنة: على أن خطبة الجمعة إنما شرّعت لذكر الله، قوله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»[1].

انتبهوا يا عباد الله يقول ﷺ: «**فإذا خرج الإمام** ـ أي: إذا صعد المنبر ـ **حضرت الملائكة**»، التي كانت قد وقفت على الطرقات تسجل أسماء القادمين إلى المسجد، ولذلك احرص أن تكون في المسجد قبل أن يصعد الخطيب على المنبر لتتحصل على هذا الأجر العظيم، ـ فإذا صعد الإمام على المنبر حضرت الملائكة أي: جلسوا في المسجد يستمعون الذكر، فسمى الرسول ﷺ خطبة الجمعة ذكراً ولم يقل ﷺ: فإذا حضر الإمام أي: إذا صعد الإمام المنبر حضرت الملائكة يستمعون السب والشتم، فخطبة الجمعة ذكر لله، وإياكم أن تنخدعوا بما تسمعون مِنْ أنه يجب على الخطيب أن يسب فلاناً وفلاناً، وأن يستخدم منبر رسول الله للسب والشتم، فقد سمعتم الدليل من الكتاب والسنة على أن خطبة الجمعة يجب أن تكون ذكراً لله تعالى.

العنصر الثاني ـ هذا هو خطيب السوء فاحذروه!

عباد الله! جاء وصف دقيق من الكتاب والسنة لخطباء السوء؛ لنكون منهم على حذر.

صفتهم الأولى: أنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، فاعرفوهم لتكونوا منهم على حذر.

والبر: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فتراهم يأمرون الناس

---

(١) **صحيح**: خ: (٨٤١)، م: (٨٥٠).

بالبر وينسون أنفسهم، والله ﷻ ينكر ذلك ويوبخ من يفعل ذلك، وهذا ممّا يدل على أن الذي يأمر الناس بالبر وينسى نفسه إنسانٌ لا عقل له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

عباد الله! ومثل هؤلاء كمثل طبيبٍ بارع، يصف الدواء للمريض، ويعلم بأن المريض سيشفي بهذا الدواء بإذن الله، ولكن هذا الطبيب حين يصاب بنفس ذلك المرض ينسى أن يصف لنفسه ذلك الدواء، أهذا طبيب عاقل؟ الجواب: لا، يجب أن يصف لنفسه العلاج ليشفى قبل أن يُداوي الآخرين، وكذلك خطيب السوء فإنك تراه يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أُمّتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(١).

انظروا إلى العقاب الذي ينتظرهم: تقرض شفاههم، هذا الفم الذي يكذب على الله، وعلى رسول الله، وعلى الناس يوم القيامة ستقرض هذه الشفاه بمقاريض من نار، لم؟ لأنهم كانوا خطباء سوءٍ في الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، أفلا يعقلون؟!

فخطيب السوء يأمر بالمعروف وينسى نفسه، يأمر بالتوحيد وينسى نفسه، يأمر بالتمسك بالسنة وينسى نفسه، يأمر الناس بالخير وينسى نفسه، فنقول لهذا الخطيب خطيب السوء يقول لك القائل:

يا أيُّها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ ... هلَّا لنفسكَ كانَ ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقام منَ الضنا ... كيما يصحَّ بهِ وأنتَ سقيمُ
ابدأْ بنفسكَ فانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
لا تَنْه عَنْ خلقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٩)، حب: (٥٣)، طس: (٨/ ١٤٤)، ع: (٧/ ٦٩)، ش: (٧/ ٣٣٥)، حل: (٦/ ٢٤٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٢٧)].

الصفة الثانية لهم: أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون خلاف ما يقولون والله ﷻ يمقت ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣]. ورسولنا ﷺ يقول: «**مررت ليلة أُسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريضَ من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**»(١)، ويقول ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(٢).

عباد الله! خطباء السوء يدعون الناس إلى الجنة بأفواههم وأقوالهم، ويدعون الناس إلى النار بأفعالهم وتصرفاتهم، فهم في تناقض عجيب، كلامهم كالعسل وأفعالهم أفعالُ المجرمين، والله ﷻ يقول في أمثال هؤلاء: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

ويقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»(٣).

---

(١) **صحيح**: [«ص.غ.هـ» (١٢٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٩٤)، م: (٢٩٨٩).

(٣) **صحيح**: حم: (١/٢٢)، طب: (١٨/٢٣٧)، هب: (٢/٢٨٣)، [«ص.ج» (١٥٥٦)].

الصفة الثالثة لهم: أنهم يتبعون أهواءهم فيما يقولون ويفعلون.

١ ـ فالهوى عندهم هو الذي يأمر وينهى، وهو الذي يحلل ويحرم والله ﷻ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال ـ تعالى ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]؛ فاتّباع الهوى يهلك صاحبه، وخطيب السوء هواه هو الذي يأمره وينهاه، ولسان حاله يقول لهواه: سمعنا وأطعنا.

يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١). شح يعني: بخل، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه: فترى الإنسان يقول عن نفسه ـ كما قال إبليس ـ أنا خير، أنا أفضل**!!** وهذه الثلاث مهلكات لأصحابها، فاحذروها.

٢ ـ الهوى يمنع صاحبه من الاستجابة لله ولرسوله: ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

٣ ـ الهوى يضل صاحبه عن سبيل الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

الصفة الرابعة لهم: أنهم يريدون بأعمالهم الدنيا ولا يريدون بها الآخرة، فتراهم يستخدمون المنبر لإلقاء دروسهم وخطبهم عن أُمور الدنيا،

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].

فإما أن يدعو أحدهم الناس إلى الحزبية البغيضة التي ينتمي إليها، وإما أنه يبتغي بخطبته هذه شيئاً من حطام الدنيا الفانية، فهو يخطب إذا أعطوه مالاً، ويدرِّس إذا أعطوه مالاً، فإذا منعوه ترك الخطابة والتدريس، فهو يعمل من أجل الدنيا، والله ﷻ يضرب مثلاً لهؤلاء، فيقول ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

فخطيب السوء قد أراد بدينه الدنيا، أراد بعلمه الدنيا، فتراه يركض وراء الدنيا إن أعطوه خطب، وإن منعوه توقف، ولذلك تراه لا يُبالي بما يلقيه ويضلل به الناس، ولا يهتم حتى بالتحضير لخطبة الجمعة! فترى كثيراً مِنَ الخطباء مَنْ يقول: أنا أحضر الخطبة قبل وقت إلقائها بلحظات، ومنهم من يقول: أنا أحضر خطبة الجمعة وأنا صاعد على المنبر، ومنهم من يقول: أنا أقوم بكتابة الخطبة من الكتب وأقرءوها على الناس ولا أكلف نفسي بحفظها!

فهذا الخطيب بخطبته تلك إنما يسدُّ فراغاً فقط! وهو لا يهتم بالناس فهموا أم لم يفهموا، ولذلك ترى كثيراً من الخطباء قد انفض الناس من حولهم، والسبب أنهم لم يبذلوا جهداً في تحضير خطبهم، ولم يدعو الله أن يعينهم، والكلام إذا خرج من قلب المتكلّم وصل إلى قلوب الناس، وإذا خرج الكلام من الورق وصل إلى الأذن اليمنى وخرج من الأذن اليسرى دون أن ينتفع الناس به.

إخوة الإسلام! هؤلاء هم خطباء السوء فكونوا منهم على حذر؛ فهم دعاة على أبواب جهنم، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا من أجابهم قذفوه في النار، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**»،

قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنّون بغير سنّتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: «**نعم، هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»(١). وهذا هو الشاهد، فإياك إياك أن تنخدع بخطباء السوء ودعاة الحزبية البغيضة.

عباد الله! وهذه رسالة نوجهها إلى الخطباء فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

نقول: يا معشر الخطباء! ابتغوا بعملكم وجه الله، وابتغوا بخطبتكم وجه الله، فالإخلاص هو سر النجاح.

يا معشر الخطباء! خاطبوا الناس على قدر عقولهم.

يا معشر الخطباء! اهتموا بالعقيدة والتوحيد أولاً كما فعل الرسل فما من نبي ولا رسول بعث في قومه إلا وبدأ معهم بـ(لا إله إلا الله). قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والرسول ﷺ لمّا أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**»(٢) الحديث؛ فأمره أن يدعو الناس أولاً إلى (لا إله إلا الله).

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١١)، م: (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٨٩).

يا معشر الخطباء! يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا، واتفقوا واتحدوا واعتصموا ولا تفرقوا ولا تختلفوا، فعندما أرسل رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[١].

يا معشر الدعاة! خذوا بهذه الوصية وبينوا للناس يُسْرَ وسهولةَ هذا الدين، وأن الله ما جعل علينا في الدين من حرج، فالدين الإسلامي دين يسر لا عسر فيه، قد فُرض علينا فيه خمس صلوات وطُلِبَ منك أيها المسلم أن تصلي قائماً، فإن عجزت فصلِّ قاعداً، فإن عجزت فصل على جنب. وفرض عليك الزكاة إذا بلغ مالك النصاب، وحال عليه الحول، وفرض عليك الحج مرة واحدة في العمر إن استطعت إلى ذلك سبيلاً. وفرض عليك الصيام شهراً واحدًا في السنة فإن عجزت عن الصيام أفطرت، ثم صمت قضاءً بعد ذلك، وأمرك بالوضوء للصلاة، فإن عجزت فلك أن تتيمّم، فدينك كلّه يسر وسهولة، فبشروا ولا تنفروا!

بشروا الناس بجنة عالية، بشروا الأمة بالنصر والتمكين، بشروا العصاة، بأن الله يقبل توبة مَنْ تاب وأن الله غفور رحيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. بشروا الناس بأن الإسلام يجبُّ ما قبله، فالإنسان مهما عمل ومهما كفر إذا تاب إلى الله، ودخل في الإسلام تاب الله عليه وبدل سيئاته حسنات، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، بشروا الأمة بالنصر والتمكين، فإن رسول الله ﷺ قال لخباب: «**والله ليتمنَّ هذا الأمر** ـ أي: هذا الدين ـ **حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[٢].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٧٣)، م: (١٧٣٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٤١٦)

بشروا الناس بأن المستقبل للإسلام، ولقد أخبرنا ﷺ بذلك فقال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلّاً يذل به الكفر**»(١).

وقوله ﷺ السابق: «**تطاوعا ولا تختلفا**»، أي: اعتصموا واتحدوا ولا تختلفوا ولا تفترقوا، فالخير كل الخير في الاتحاد، والشر كل الشر في الاختلاف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

فيا خطباء الأمة الإسلامية! بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسروا، وإيَّاكم أن تضللوا الناس، واعلموا يا خطباء المسلمين بأن الملائكة يستمعون لكم وأنتم تخطبون الجمعة وأنتم تدرسون الناس، ويسجلون ذلك إما لكم أو عليكم في صحف! نعم، فلقد أحصاه الله ونسوه، والله سائلكم يوم القيامة عما تقولون، فاتقوا الله في الناس، وادعوهم إلى الله وإلى طريق الجنة ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



---

(١) **صحيح**: حم: (١٠٣/٤)، ك: (٤٧٧/٤)، طب: (٥٨/٢)، هق: (١٨١/٩)، [«س. ص» (٣)].

٢٠٦

المجرم العشرون ـ العاصي

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نحدّثكم عن المجرم العشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «العاصي»**.

أتعرفونه يا عباد الله؟ إنه كل من يعصي الله ورسوله ويتعدى حدوده! إنه كل من يبارز ربّه بالمعاصي ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً! إنه من إذا أمره الله لم يأتمر، وإذا نهاه لم ينته!

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، لأنه باقترافه للمعاصي سلك طريق النار وأبى الجنة، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ ـ أي: ومن جاء بالمعصية ـ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧]. ويوم القيامة إذا وقف العاصي بين يدي ربه ليس بينه وبين ربّه ترجمان ينادي ربنا جل وعلا على الملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقة: ٣٠].

ابن آدم!

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرضِ عُرْيانا	مستوحِشَاً قَلِقَ الإحشاءِ حَيْرَانا
والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومنْ حَنقٍ	على العصاةِ وربُ العرشِ غضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عبدي على مَهَلٍ	فهلْ ترىٰ فيهِ حَرْفاً غيرَ ما كانا
لما قرأتَ ولم تنكرْ قراءته	إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي	وامضوا بعبدٍ عَصَى للنارِ عطشانا
المجرمون غدا في النار يلتهبوا	والمؤمنونَ في دارِ الخلدِ سكانا

يوم القيامة ينادي الجليل: خذوه يا ملائكتي، وامضوا بعبد عصى للنار عطشاناً، أتعرفون لم يا عباد الله؟ لأنه سلك طريق النار في الدنيا باقترافه للمعاصي، وكلنا يعلم أن اقتراف المعاصي طريق إلى النار، وأن الأعمال الصالحة طريق إلى الجنة، فالعاصي أبى الجنة، ورفض الجنة وسلك طريق النار بإرادته وعلمه وهو يعلم أن هذا طريق يوصل إلى النار، ولذلك يقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**[1]. والعاصي قد أبى الجنة، وسلك بمعصيته طريق النار ولذلك عندما يدخل النار يعترف بذنبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١].

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، لأن المعاصي تورث الذل، والعاصي ذليل وإن ركب أفخم السيارات، العاصي ذليل وإن سكن في أعلى القصور، العاصي ذليل حقير وإن ملك الدنيا وما فيها، لأن العاصي قد ضرب الله عليه الذلة والمسكنة والإهانة، فترى العصاة وإن طاروا في الهواء ترفرف على رؤوسهم رايات الذل، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

ورسول الله ﷺ يقول محذراً من المعاصي: «**إذا تبايعتم بالعينة** ـ وهي نوع من أنواع الربا ـ **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلّاً، لا ينزعه** ـ عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»[١]. متى ينزل الذل، ويعم على رؤوس الخلق؟ إذا اقترفوا المعاصي.

• أما سمعتم عَنْ رجل أذل نفسه من أجل سيجارة واحدة، صار ذليلاً حقيراً وهو يطلب السيجارة من رجل آخر وربما كان عدوّاً له!

وآخر قد أذلّ نفسه من أجل أن يزني بامرأة حقيرة! ورجل آخر أذل نفسه ومد يده ليأخذ رشوة! وهكذا فالعاصي ذليل حقير.

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، لأنه باقترافه للمعاصي استحقّ أن يعيش في حياة الضنك والفقر والأمراض، ضنك في المعيشة، ذل وهوان، عسر، فقر، أمراض لم نسمع بها من قبل، والسبب: المعاصي. يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فربط الله ﷻ هنا بين المعاصي وبين معيشة الضنك، فمن كان منكم يعيش عيشة الضنك فليعلم أن ذلك بسبب اقترافه للمعاصي، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]، وربط الله ﷻ أيضاً بين الحياة الطيبة السعيدة والأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول ﷺ محذراً من المعاصي: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:**

١ ـ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

٢ ـ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم.

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

٣ ـ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا.

٤ ـ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم.

٥ ـ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[١].

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، ومجرم كذلك في حق أمته؛ فارتكاب المعاصي سببٌ للهلاك على مستوى الأفراد والأمم، فالمعاصي سبب للهلاك، وقد قص الله علينا في كتابه أخبار العصاة وكيف أهلكهم لنعتبر يا أمة الإسلام.

● فهذا قارون كان من قوم موسى: فعصى وتكبّر وتجبّر فهلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ـ أي: تجاوز الحد، واقترف المعاصي، فنصحه قومه قائلين: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]، لقد عصى، ونصحه قومه فلم ينتصح، وأصر على معصيته وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾، فكانت النتيجة يا عباد الله، الهلاك: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٧٨، ٨١]، فاعتبروا يا أصحاب الأموال!

● وهذا فرعون: عصى فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ فقتل الأطفال واستحيى النساء، وبسبب هذه المعاصي أهلكه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، حل: (٨/ ٣٣٣)، هب: (٣/ ١٩٦)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، فتأمّلوا يا عباد الله! كيف أغرقه الله ورد عليه توبته ولم يقبل منه إيمانه لأنه آمن عندما رأى العذاب، فقال الله تعالى له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]، فاعتبروا يا أصحاب المناصب!

• هؤلاء قوم نوح عصوا فأهلكهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥]، فبالمعاصي أهلك الله قوم نوح جميعاً، أغرق الله كل من على الأرض لأنهم كذبوا الرسل، ولقد قص الله علينا في القرآن أخبار الأمم التي أهلكها، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠]. لنعلم أن المعاصي سبب للهلاك، أما تسمعون وتقرءون عن أمم هلكت، ودول سقطت، وقرى بأكملها بلعتها الأرض تحذيراً وتذكيراً من الله لكم؟! يا معشر العصاة، أمَا تسمعون بالزلازل هنا وهناك؟! والفيضانات والأمراض هنا وهناك؟! ومع ذلك ـ وللأسف الشديد ـ ترانا وقد أعرضنا وعصينا وكأننا لم نسمع ولم نر، والله أمرنا أن نعتبر بالأمم التي عصت فأُهلكت.

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، مجرم في حق أمته، لأن المعاصي سبب لزوال النعم، فكم من نعمة زالت بسبب المعاصي.

وبالمثال يتضح البيان:

يضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة، تتقلّب في نعم كثيرة ولما عصت أهلكها الله، وأزال النعمة من بين يدها، وفي هذا

تذكير وتحذير لنا من رب العالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]، كانت في أمن وأمان، ورزق من كل مكان، لكنها قابلت هذه النعم بالكفران، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، وإن ربك لبالمرصاد! فهو سبحانه يعطي النعم ويطلب منا الشكر لتبقى النِّعم وتزيد فإن عصينا زالت، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ كيف قابلوا هذه النعم؟ ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧]. كانوا في نعمة لكنهم لمّا أعرضوا زالت عنهم النعمة.

انظروا إلى أحوالنا يا أمة الإسلام، كم من الناس في هذا الأسبوع أعرضوا عن صلاة المغرب والعشاء ليتابعوا مباريات كرة القدم؟! كم طالبٍ من طلاب العلم غاب عن الدرس ليتابع مباريات كرة القدم؟! كم من الناس من تخلف عن صلاة الجماعة ليتابع مباريات كرة القدم؟! إلى هذا الحد وصلنا؟! إلى هذا المستوى نزلنا؟!

أنسيتم أن الله للعصاة بالمرصاد؟! أنسيتم أنكم جئتم إلى هذه الدنيا لعبادة الله؟! لتقيموا دين الله، لتدعوا الناس إلى الجنة، وتحذروا الناس من النار، كم من الألوف بل أقول من الملايين في العالم قد ضيعوا الصلاة ليتابعوا مباريات كرة القدم؟!!

يا أيها المضيع لصلاة المغرب والعشاء، يا من ذهبت لتنظر إلى مباريات كرة القدم، أما خشيت أن يسلب الله منك نعمة البصر فلا تنظر بعدها إلى شيء أبداً؟! أما تخشى أن تبتلى بمرض فلا تستطيع بسببه أن تأتي إلى المسجد مرة أخرى؟! احذر، فإن النعم تزول بالمعاصي.

ويضرب الله لنا مثلاً آخر، وهو صاحب الجنتين ـ المذكور في سورة الكهف ـ فلقد كان في نعمة لكنه دخل جنته وهو ظالم لنفسه، فقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]، فلما عصى أزال الله النعمة من يده، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢]، فاعتبروا يا أصحاب المزارع والبساتين.

ومثالٌ آخر: أصحاب الجنة الذين أصروا من الليل وأقسموا أن يحرموا الفقراء والمساكين، فأرسل الله على جنتهم بالليل طائفاً فجعلها كالصريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠].

فيا صاحب البستان، ويا صاحب المصنع والمال، ويا أصحاب النعم احذروا غضب الله.

ابن آدم!

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَهَا ... فإنَّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ

وحافظْ عليها بشُكرِ الإلهِ ... فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

عباد الله! العاصي مجرم في حق نفسه، مجرم في حق أولاده، مجرم في حق أمته، والمعاصي جريمة لأنها سبب لكل شر، فكم من أمة هلكت؟ وكم من دولة سقطت؟ وكم من نعمة سلبت؟ وكم من نقمة حلت؟ بسبب الذنوب والمعاصي، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣]. المعاصي مؤشر يُنْذِر بالشر، فإذا انتشرت المعاصي في المجتمع وزادت فالهلاك الهلاك.

عباد الله! **والمعاصي قسمان:**

١ ـ كبائر، ٢ ـ وصغائر.

والمجرمون يوم القيامة تراهم قد ضجوا من الصغائر قبل الكبائر فاعتبروا يا مَنْ قد استهنتم بالصغيرة! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، أحصاه الله ونسوه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٣]. وهناك من الناس من يستهين بالمعاصي، ولذلك تراهم وقد اقترفوها وتجرَّءوا عليها، ومن المعاصي التي استهان بها كثير من الناس:

١ ـ التدخين وهو حرام، ولكن كم من المسلمين مَنْ يدخن؟ والمدخن يضر بصحته، ويضر بالناس ويضرّ بماله وبزوجته وبأولاده وبالأمة الإسلامية؟ واحسبوا كم عدد المسلمين المدخنين وكم هي قيمة الأموال التي تنفق على التدخين في اليوم الواحد! حتى طلاب المدارس الابتدائية فيهم من يدخن لأن الآباء وأولياء الأمور تركوا الحبل لهم على الغارب.

٢ ـ سفر المرأة وحدها بدون محرم، وهذا ممّا استهان به كثير من الناس، وهو حرام، فلا يجوز للمرأة أن تسافر وحدها بدون محرم ولعلّكم تعلمون أن سفر المرأة بدون محرم فيه ما فيه!.

٣ ـ الخلوة بالمرأة الأجنبية، فإن الرجل إذا خلا بالمرأة كان الشيطان ثالثهما، وهذا من المحرمات التي استهان بها كثير من الناس.

٤ ـ مصافحة المرأة الأجنبية: وكم من الموظفين مَنْ يصافح زميلته كل يوم مع أن الرسول ﷺ يقول: «**لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[١]، وهذا أمرٌ قد استهان به كثيرٌ من الناس.

---

(١) **صحيح**: طب: (٢٠/ ٢١٢)، [«س.ص» (٢٢٦)].

٥ ـ التبرّج الذي عمّ وطم وانتشر في بلاد المسلمين حتى إنك لتجد الرجل يأتي إلى المسجد وزوجته أو ابنته المتبرّجة هي التي توصله إلى المسجد بسيارتها! ثم يخرج بعد الصلاة أو الدرس وقد سمع الكلام عن التبرج فيرى ابنته وزوجته المتبرجة وكأنها لم تفعل شيئاً، أين الغيرة والكرامة والشرف؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ومع ذلك استهان الناس بالتبرج.

٦ ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين، وهذا حرام قد استهان به كثير من الناس، فالرجل المريض إذا سمع عن كاهن أو عراف يعالج المرض هرول إليه ونسي أن من ذهب إلى الكاهن والعراف لا تقبل صلاته أربعين يوماً، وأما إذا صدقه بما يقول، فهو بذلك يكون قد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ.

٧ ـ الزنا والربا الذي دخل البيوت، ولقد استهان الناس بالربا، وما أعلن الله الحرب إلا على أكلة الربا، واستهان الناس بالزنا فاقترفوه، وقد قال ﷺ: «**إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

٨ ـ الحلف بغير الله: وكم من الناس من يحلف بغير الله؟ ورسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(٢)، ويقول ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(٣).

وبعد فهذه بعض الذنوب والمعاصي التي استهان بها كثير من الناس، فلنجتنب كل المعاصي، فهي سبب لكل شر، ووالله ما زالت النعم من بين أيدينا إلا بسبب المعاصي، وما حل بالمسلمين ما حل إلا بسبب المعاصي، والله ﷻ له سنن لا تتبدل ولا تتغير، ومن سنن الله ﷻ قوله

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٧٨)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٢) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، حب: (٤٣٥٨)، ك: (٤/ ٣٣٠)، هق: (١٠/ ٢٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٥٢)].

(٣) **صحيح**: خ: (٦٢٧٠)، م: (١٦٤٦).

سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]، فالذي يشعر بالضنك في حياته الزوجية، والذي يشعر بالفقر والعسر في حياته، والذي ابتلي بالأمراض الخبيثة فليراجعْ نفسَه مع الله، ليعلم أنها المعاصي، ثم ليُحْدِثْ توبة لله ﷻ قبل أن يدركه الموت فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



٢٠٧

المجرم الحادي والعشرون ـ الزاني

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ نحدّثكم عن المجرم الحادي والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الزاني»**.

أتعرفونه يا عباد الله؟ إنه من يعتدي على أعراض الناس، إنه من يضع شهوته في الحرام، إنه مَنْ يتسبب في وجود طفلٍ لا يُعْرف له أبٌ ولا أم، إنه من يُدْخِلُ في أنساب الناس من ليس منهم، إنه من يتسبب في انتشار الأمراض الخبيثة بين الناس.

عباد الله! وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: رسالة إلى الزناة فيها تحذير وتذكير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الثاني: كيف يتعامل الإسلام مع الزناة.

العنصر الثالث: نضع النقاط على الحروف حتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين.

العنصر الأول: هذه رسالة نوجهها إلى الزناة فيها تحذير وتذكير.

١ ـ أيها الزاني: أما علمت أن الاعتداء على أعراض المسلمين كالاعتداء على أموالهم بالسرقة وعلى أنفسهم بالقتل، لأن الرسول ﷺ يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»[١]، ويقول ﷺ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

في خطبته في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»(١).

٢ ـ أيها الزاني: أما علمت أن الله ﷻ قد حرم الزنا وحرم حتى الاقتراب من الزنا فهو حرام إلى يوم القيامة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣]، وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**»، **قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة؟ فقال** ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»(٢).

٣ ـ أيها الزاني: أما علمت أن الله أمرنا بحفظ الفرج؟! فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٣)، وقال ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**»(٤).

٤ ـ أيها الزاني: أما علمت أن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك والقتل؟ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك**»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(٥).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩).

(٢) **صحيح**: حم: (٦/ ٨)، خد: (١٠٣)، طب: (٢٠/ ٢٥٦)، طس: (٦/ ٢٥٤)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص.ج» (٥٠٤٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٠٩)، حب: (٥٧٠٣)، ك: (٤/ ٣٩٨)، ع: (١١/ ٦٤)، [«ص.ج» (٦٥٩٣)].

(٥) **صحيح**: خ: (٤٤٨٣)، م: (٨٦).

٥ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزاني وهو يرتكب هذه الجريمة يخرج منه الإيمان، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(١)، وقال ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه**»(٢)، وإن كنا لا نكفر الزاني لأننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل بذنب ما لم يستحله ولكننا نقول إنه بارتكابه للزنا أصبح فاسقاً وعاصياً لله.

٦ ـ **أيها الزاني**: إن كنت لا تعتقد أن الله يراك فقد كفرت، وإن كنت تعتقد أن الله يراك وأنت تزني فلم جعلت الله أهون الناظرين إليك؟ أيها الزاني أتزني بامرأة وزوجها ينظر إليك؟ أيها الزاني أتزني بامرأة وأبوها ينظر إليك؟ سيكون الجواب من الزاني: لا، إذاً فكيف تزني والله عز وجل ينظر إليك؟

٧ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزنا سبب لهدم بيوت، وسبب لخراب الديار، وسبب لنزول العذاب؟ فكم من البيوت دمرت بسبب الزنا؟ وكم من عذاب نزل بالأمة بسبب الزنا: زلازل، فيضانات، تدمير، فقر، ضنك، أمراض وما يعلم جنود ربك إلا هو، كل ذلك بسبب الزنا. يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٣).

٨ ـ **أيها الزاني**: أما علمت أن الزنا سبب لانتشار الأمراض الخبيثة كالسيلان، والإيدز، والسل وغير ذلك من الأمراض الفتاكة، يقول ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»(٤)، فإذا ظهرت

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٢٥٦)، م: (٥٧).

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٩٠). ت: (٢٦٢٥)، ك: (١/ ٧٢)، هب: (٤/ ٣٥١)، [«ص.ج» (٥٨٦)].

(٣) **صحيح**: ك: (٢/ ٤٣)، طب: (١/ ١٧٨)، هب: (٤/ ٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٤) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، حل: (٨/ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

الفاحشة وأعلنا بها انتشرت فينا الأمراض، عبادَ الله! ها قد انتشرت الأمراض في الأمة والسبب وراء ذلك هو انتشار الزنا، فالزاني عندما يزني بامرأة تحمل مرض الإيدز يقوم هو بدوره بنقله إلى زوجته، أو يقوم بنقله إلى امرأة أخرى قد يزني بها، وهذه المرأة التي أصيبت بهذا المرض إذا زنا بها رجل آخر انتقل إليه المرض، وهكذا ففي كل لحظة تنتشر الأمراض بين الناس بسبب الزنا.

٩ ـ أيها الزاني: أترضى الزنا لأمك؟ أترضى الزنا لأختك؟ أترضاه لزوجتك وابنتك؟ الجواب: لا، إذن فاعلم أيها الزاني أن الزنا دَين فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم، يقول الامام الشافعي رحمه الله:

عِفُّوا تعفُ نساؤكُمْ في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليقُ بمُسْلِم
مَنْ يَزْني في بيتٍ بألفِ درهمٍ ... في بيته يُزْنَى بغير الدرهمِ
من يَزنِ يُزنَ به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهمِ
إن الزنا دَينٌ فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتِكَ فاعلم
يا هاتكاً سِتر الرجال وقاطعاً ... سُبُلَ المودةِ عشتَ غيرَ مُكرَّمِ
لو كنتَ حراً من سلالةِ طاهرٍ ... ما كنتَ هتاكاً لحرمةِ مسلم

١٠ ـ أيها الزاني! أنسيت الموت؟ تخيّل أن الموت قد يختطفك وأنت تزني، واعلم أن رسول اللهﷺ يقول: «**مَن مات على شيء بعثه الله عليه**»[(١)]، فماذا تفعل يوم القيامة إذا بعثت وأنت تزني، في يومٍ تبلى فيه السرائر؟!

١١ ـ أيها الزاني! أنسيت القبر؟ أنسيت التراب؟ أنسيت الظلمة؟ أنسيت الوحشة؟ أنسيت الدود؟ أنسيت الوقوف بين يدي الجبار يوم القيامة؟ نذكرك والذكرى تنفع المؤمنين.

١٢ ـ أيها الزاني! ثم بعد ذلك نقول لك: إن التوبة تَجُبُ ما قبلها، والله ﷻ يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنِّي

(١) **صحيح**: حم: (٣/ ٣١٤)، ك: (٤/ ٣٤٨)، ع: (٤/ ١٨٤)، [«ص.ج» (٦٥٤٣)].

لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

العنصر الثاني: كيف يتعامل الإسلام مع الزناة؟ ـ والعاقل من اتعظ بغيره ـ إن الإسلام قد شدّد على الزناة، وضيّق عليهم وضرب بيد من حديد عليهم، يظهر لنا ذلك من الحد الذي أوجبه الله ﷻ على الزناة في الدنيا، ومن العذاب الذي أعدّهُ سبحانه وتعالى لهم في القبر، ومن العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة، ونبيّن ذلك ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فحدّ الزاني في الدنيا: كما يقول الله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]، هذا إذا كان الزاني بكراً ـ أي: لم يسبق له الزواج ـ فإنّه يُجلد مائة جلدة ويغرب عاماً عن بلده.

• أما إن كان محصناً ـ أي: سبق له الزواج ـ فحدّه الرجم حتى الموت، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: (أن رجلاً من أَسْلَم أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله ﷺ فرُجم وكان قد أُحصن)[1].

• وقال عمر بن الخطاب ﵁ في خطبته: «إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، والله ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البيِّنة أو كان

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٩).

الحبَل أو الاعتراف»[١].

نعم، فآية الرجم نزلت على رسول الله ثم نسخت الآية تلاوة وبقي حكمها. فمَن زنا وهو محصن ـ أي: سبق له الزواج ـ فحدّه الرجم حتى الموت، والآية هي: «**والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة**»[٢].

فتأمّلوا عباد الله! هذا التغليظ على الزناة، وهذا التشهير بهم، وكيف يأمر ربنا جل وعلا المسلمين ألا تأخذهم رأفة بالزناة في الدنيا.

أما عذابهم في القبر: فقد جاء في حديث الرؤيا الطويل، أن رسول الله ﷺ يقول: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور ـ قال: فأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصوات ـ قال: فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوضَوا** ـ أي: صاحوا من شدة حرِّه ـ **قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق**... ... ـ ثم في النهاية أخبره الملكان الخبر فقالا له: ... ـ **وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني**»[٣].

أما عذابهم يوم القيامة: فيقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليمٌ: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[٤]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال عطاء رحمه الله في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: (أشد تلك الأبواب غماً

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٤٢)، م: (١٦٩١).
(٢) **صحيح**: [«س.ص» (٢٩١٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠).
(٤) **صحيح**: م: (١٠٧).

وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة)[١].

عباد الله! إن الزاني مجرم في حقِّ نفسه، ومجرم في حق أهله، ومجرم في حق مجتمعه، والزنا جريمة نكراء لأنها تطأطِئُ الرؤوس العالية، وتسود الوجوه البيضاء، وتخرس الألسنة البليغة، وإذا وقع الزنا في بيت دمره وأفقره، فالزاني جرثومة فتّاكة في مجتمع المسلمين.

العنصر الثالث: نضع النقاط على الحروف حتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين.

عباد الله! بعد هذا اعلموا أن الزنا ينتشر بوجود التبرج والاختلاط بين الرجال والنساء، وبإرخاء الحبل على الغارب، وبموت الغيرة عند الرجال.

ولذلك حرم الإسلام:

أولاً: التبرج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، لأن التبرج بمثابة الشرارة الأولى للزنا، فالمرأة بالنسبة للرجل فتنة، وإذا تبرجت وتزينت وتجملت وأظهرت مفاتنها ثم خرجت إلى الشارع ورآها هذا الشاب الذي لا دين له اشتهاها، وإذا اشتهاها رغب فيها فأخذ يخطو خطواتٍ تقربه من الزنا.

ثانياً: الاختلاط المشين بين الرجال والنساء الأجانب، كما نرى ونسمع في هذا الزمان، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء!**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت!**»[٢]، أي: إن الدمار يأتي من قريب الزوج إذا دخل على المرأة في غياب زوجها.

ثالثاً: خروج المرأة من بيتها متعطرة وهذه شرارة للزنا، ولذلك حرم

---

(١) حل: (١٩٨/٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

الإسلام على المرأة أن تخرج إلى الشارع متعطرة، فقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية، وكلُّ عين زانية**»[(١)].

رابعاً: الخلوة بالمرأة، وهذه أيضاً شرارة وخطوة إلى الزنا. ولذلك حرم الإسلام على الرجل أن يخلو بامرأة إلا مع ذي محرم، فقال ﷺ: «**لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم**»[(٢)]، وقال ﷺ: «... **ألا لا يخلون رجل بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان**»[(٣)].

إخوة الإسلام! اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في بناتكم، اتقوا الله في أعراضكم، إذا غابت ابنتك عن البيت فأسأل عنها: أين تذهب؟ إذا غابت زوجتك عن البيت فاعرف أين ذهبت، لا تُخَوِّنْ ولا تُرخي الحبل على الغارب، وخذوا حذركم لأن الزنا إذا وقع في بيت الإنسان فإنه مصابٌ صعب أليم، وإن الإنسان إذا أصيب بهلاك في ماله تحمل ذلك وصبر، وإذا أصيب بموت وهلاك في أهل بيته تحمل وصبر، ولكن إذا ضرب في عرضه لم يتحمل ذلك، فالعرض غالٍ فإياك إياك أن تفرط في العرض.

أصونُ عرضي بمالي لا أُدنسه　　لا بارك الله بعد العرض في المالِ

اللهم قد بلَّغت اللَّهمّ فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللّهمّ قد بلغت اللهمّ فاشهد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **حسن**: د: (٤١٧٣)، ت: (٢٧٨٦)، ن: (٥١٢٦)، حم: (٤/ ٤١٣)، خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، ك: (٢/ ٤٣٠)، [«ص.غ.هـ» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٥)، م: (١٣٤١).

(٣) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/ ٢٦)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/ ١٩٧)، لس: (٣١)، طس: (٣/ ٢٠٤)، طص: (١/ ١٥٨)، [«ص.ج» (٢٥٤٦)].

٢٠٨

المجرم الثاني والعشرون ـ مريد الدنيا

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين من أصحاب النار، **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المجرم الثاني والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «مريد الدنيا»**.

أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ إنه الذي لا يريد من حياته إلا الدنيا! إنه الذي لا همَّ له في هذه الدنيا إلا الدنيا، فمن أجل الدنيا يضيع الصلاة، ومن أجل الدنيا يمنع الزكاة، ومن أجل الدنيا يقطع أرحامه، ومن أجل الدنيا يستبيح أن يظلم غيره لكي يصل إلى ما يريد.

مريد الدنيا: يعطي من أجل الدنيا، ويمنع من أجلها، وهو يحب للدنيا ويبغض للدنيا.

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه.

العنصر الثاني: هذه هي حقيقةُ الدنيا فاحذروها.

العنصر الثالث: رسول الله ﷺ يربي أصحابه على الزهد في هذه الدنيا.

العنصر الأول: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، وذلك:

أولاً: لأنه يعرِّض نفسه للهلاك والدمار، فكم من محب للدنيا هلك، وكم من حريص على الدنيا هلك! يقول ﷺ يوماً لأصحابه: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بسطت**

على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[(١)]، ويقول ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[(٢)].

ثانياً: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للفتن والبلايا، قال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال»**[(٣)]، وقد افتتن بالمال الكثير من الناس، فأصبحوا ولا هم لهم إلا أن يجمعوه من حله أو من غير حلِّه، فجمعوه من الحلال والحرام، والرسول ﷺ يقول: «**إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»**[(٤)].

● وهذا قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، أتدرون لم بغى عليهم؟ لأنه امتلك الكثير من المال، فالمال سبب للبغي والعدوان، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧]، فلما بغى قارون على قومه بماله أهلكهُ الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: ٧٦]، فكانت النتيجة كما قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [القصص: ٨١].

● وهذا العالم الذي أعطاه الله علماً، فركن بعلمه إلى الدنيا، واشترى الدنيا بعلمه كانت نهايته إلى هلاك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٧٦)، حم: (٣/ ٤٥٦)، مي: (٢٧٣٠)، حب: (٣٢٢٨)، ش: (٧/ ٨٤)، هب: (٧/ ٢٦٧)، [«ص.ج» (٥٦٢٠)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/ ١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/ ٣٥٤)، طب: (١٩/ ١٧٩)، طس: (٣/ ٣٢٥)، هب: (٧/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٤) **صحيح**: خ: (١٣٩٦)، م: (١٠٥٢).

ولذلك يقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا**»[١]؛ فمريد الدنيا قد افتتن بالمال ولا هم له إلا المال والمنصب، حتى ولو كان هذا المال من حرام فلا بأس عنده، حتى لو وصل إلى المنصب على حساب الآخرين وعلى ظلم الضعفاء فلا بأس، المهم أن يصل إلى الدنيا، فهو من أجل الدينار قد يبيع دينه، فتعس عبدُ الدينار.

ثالثاً: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه للذل، فإنه لمّا كان يريد الدنيا ولا هم له إلا الدنيا فإنك تراه يتذلل ليتحصل على المال، وتراه يتذلل لمن فوقه ليصل بذلك إلى منصب أعلى، والرسول ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** ـ وهذه كناية عن حب الدنيا ـ **وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلّاً لا ينزعه** ـ عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٢]. فمن ركن إلى هذه الدنيا ذل، وانظروا عباد الله بعين البصيرة لكل من لا هم له إلا الدنيا، بينما الآخرة لا تخطر له على بال لترونه ذليلاً دائماً، ويقول ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط**»[٣]، وأي ذل بعد أن يصبح الإنسان عبداً للدرهم والدينار؟! نعم، فالدينار هو إلهه؛ ولا هم له إلا الدينار.

رابعاً: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لفقرٍ لا غنى بعده، فإن الأغنياء الذين لا هم لهم إلا الدنيا، ولا هم لهم إلا أن يجمعوا المال قد نسوا الآخرة وإنك لترى الفقر بين أعينهم، يقول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته**

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨)
(٢) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، ك: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].
(٣) **صحيح**: خ: (٢٧٣١).

الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»[(١)]. يا عبد الله، إن رزقك قد قُدِّر لك في هذه الدنيا وهو يطاردك كما يطاردك أجلك، واللهِ لن تخرج من هذه الدنيا إلا وقد استكملت ما قدَّره الله لك. ولكن تأمّل الفرق هنا: فمَنْ لا هم له إلا الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، ومَنْ كانت الآخرة همّه أغناه،، وأظنكم تجلسون مع بعض أهل الدنيا مِنَ الذين لا يريدون إلا الدنيا وبالمقابل ضيعوا الصلاة، ومنعوا الزكاة، وأكلوا الربا، وعصوا الله بأموالهم، فلعلَّكم تجلسون معهم وتسمعون كلامهم، ووالله إنهم ليشتكون الفقر دائماً، لم؟ لأن الله جعل فقرهم بَيْن أَعينهم فمهما ملك أحدهم فهو فقير في الحقيقة لأن الغنى غنى النفس، ولقد فرق الله شمله أيضاً، أي: شتته في البلاد، فتراه يسافر شرقاً وغرباً فإذا رجع بات ليلة واحدة مع أهله، ثم سافر إلى بلد أخرى، ثم يرجع ويسافر إلى أخرى في الشهر كلّه لا يجلس مع أهله إلا يوماً أو يومين، فهل هذه حياة سعيدة؟! إن هذا لهو العذاب والضلال المبين! أي معيشة هذه؟! ومع ذلك يقول ﷺ «ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له».

خامساً: مريد الدنيا مجرم في حق نفسه، لأنه عرض نفسه لعذاب النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ـ أي: الدنيا ـ ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

---

(١) **صحيح لغيره**: ت: (٢٤٦٥)، هـ: (٣١٠٥)، طب: (٥/ ١٤٣)، هب: (٧/ ٢٨٨)، [«ص.غ.هـ» (٣١٦٩)].

وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

العنصر الثاني: هذه هي حقيقة الدنيا فاحذروها.

عباد الله! الله ﷻ هو الذي خلق هذه الدنيا فهو سبحانه بعلمه بها يصفها لنا، حتى لا نغتر بها ونكون منها على حذر، فاسمعوا وعوا إلى هذا الوصف لتكونوا من الدنيا على حذر، يقول الله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]، ويقول الله ﷻ في موضع آخر: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال -تعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

هذه هي الدنيا لعب ولهو، ومع ذلك كم من الناس انخدع بها فضيع الصلاة، ومنع الزكاة، وقتل أخاه، وظلم وجار، واعتدى على جاره؟!، اذهبوا إلى السجون واسألوا المسجونين هناك عن سبب وجودهم في هذا المكان، لتجدوا أن الدنيا هي السبب، والمال هو السبب، ولو أرادوا الآخرة لما كانوا فيما هم فيه. الدنيا حقيرة غرورة ومع ذلك انخدعنا بها وعشنا من أجلها، فتارك الصلاة إذا سأل نفسه بصدق وأمانة لم ترك الصلاة؟ فسيجد أن السبب هو: الدنيا، ومانع الزكاة إذا سأل نفسه بصدق وأمانة لم منع الزكاة؟ فسيجد أن السبب هو: الدنيا.

والذي أعطى فلاناً من أولاده وحرم فلاناً، ـ أي: جار في وصيته ـ فعل ذلك لأجل الدنيا.

والأخ الكبير حرم إخوته الصغار من الميراث، لأجل الدنيا.

امرأة طُلّقت وحُرمت أولادها، والسبب: أنَّ زوجها المحب للدنيا قد طلقها لأنها لم تستطع الحصول على ميراثها مِنْ أبيها الظالم الذي حرمها مِنْ حقها في الميراث بسبب حبه هو الآخر للدنيا.. فكانت هي الضحية!!

إنها الدنيا الفانية ومع ذلك انخدعنا بها، والله ﷻ حذّر عباده من الدنيا ومن الافتتان بها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [التكاثر: ١ ـ ٤]، أي: ألهاكم التكاثر في الدنيا حتى نسيتم الموت، ورسولنا ﷺ يُمثّل لنا الدنيا يوماً محذراً أمته منها، فقد مر رسول الله ﷺ بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته، فمرَّ بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحبُ أن هذا له بدرهم؟**»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[١]. وقال ﷺ: «**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليَمِّ فلينظر بم ترجع؟**»[٢]، إنها حقيرة وقليلة بالنسبة للآخرة، ويقول ﷺ: «**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٥٧).

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٥٨).

خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ! ما مر بي بُؤس قط، ولا رأيت شدة قط»(١)، غمسة واحدة في النار تُنسيه كل نعيم الدنيا! إنها حقيرة لا قيمة لها. ويقول ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(٢)، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله ـ تعالى ـ وما والاه وعالماً ومتعلماً**»(٣).

فيا أمة الإسلام! هذه هي حقيقة الدنيا فكونوا منها على حذر.

العنصر الثالث: رسول الله ﷺ يربي أصحابه على الزهد في هذه الدنيا، يقول ابن عمر رضي الله عنه: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)(٤). والغريب لا بد أن يرجع إلى وطنه، ونحن في هذه الدنيا غرباء، فانظر إلى الغريب في بلد الغربة، وانظر إلى حال عابر السبيل وكن مثل هؤلاء.

وأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»(٥)، ويضرب ﷺ لنا مثلاً أعلى في

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٢٠)، هـ: (٤١١٠)، ك: (٣٤١/٤)، طب: (١٥٧/٦)، هب: (٣٢٥/٧)، حل: (٢٥٣/٣)، [«ص.ج» (٥٢٩٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، هب: (٢٦٥/٢)، طس: (٢٣٦/٤)، [«ص.غ.هـ» (٧٤)].

(٤) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

(٥) **صحيح**: هـ: (٤١٠٢)، ك: (٣٤٨/٤)، طب: (١٩٣/٦)، هب: (٣٤٤/٧)، حل: (٢٥٣/٣)، [«ص.ج» (٩٢٢)].

زهده في الدنيا، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»(١).

وعن عمرو بن الحارث قال: «ما ترك رسول الله ﷺ ـ عند موته ـ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»(٢)، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»(٣)، فانظروا ماذا ترك رسول الله ﷺ وهو أعلم منا بالدنيا!!

ابن آدم! الدنيا غرورة وأنت راحل منها، فإذا جاءتك فاستخدمها في طاعة الله، وتقرب بها إلى الله، فأنت اليوم في دار العمل وسترحل والله عمّا قريب عنها، والرسول ﷺ يقول: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله، وعمله: فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله**»(٤)، فيا ابن آدم، أنت لا بدّ راحل عن هذه الدنيا فتزود منها بما ينفعك بعد الموت.

ابن آدم!

لا شيءَ مما تَرَى تبقَى بشاشتَهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تُغنِ عنْ هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خلدُوا
ولا سليمان إذ تجري الرياحُ له ... والأنسُ والجنُ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوض هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردُوا

اللهم زهدنا في الدنيا ووسع لنا فيها، ولا تحجبها عنا فترغبنا فيها

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٧٧)، هـ: (٤١٠٩)، لس: (٢٧٧)، طس: (٩/ ١٢٢)، بز: (٤/ ٣٣٧)، هب: (٧/ ٣١١)، [«ص.ج» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٢).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٧٥٩).

(٤) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

٢٠٩

المجرم الثالث والعشرون ـ الحاسد

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن المجرمين أصحاب النار، **وفي هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنتحدّث عن المجرم الثالث والعشرين، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه «الحاسد»**.

أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ إنه الذي يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، إنه الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود! إنه عدو النعمة؛ فهو لا يحب أن يرى إنساناً في نعمة أبداً! ولذلك فهو ممقوت عند الله، ممقوت عند عباد الله، فهو يؤذي الناس بعينه القاتلة، وبقلبه الأسود، وبنفسه الخبيثة، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وكلامنا عن هذا المجرم في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: الحسد في ميزان الكتاب والسنة.

العنصر الثاني: الحاسد مجرم.

العنصر الثالث: رسالة إلى الحاسد فيها تذكير وتحذير؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الرابع: كيف تحمي نفسك من حسد الحاسد.

العنصر الأول: الحسد في ميزان الكتاب والسنة.

عباد الله! الحسد في ميزان الكتاب والسنة نوعان: **حسدٌ محمودٌ وحسدٌ مذمومٌ**.

فالحسد المحمود: هو حسد الغبطة، وهو أن يتمنى الإنسان أن يكون عنده مثل النعمة التي عند أخيه من غير أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه، وهذا لا بأس به، ولا يعاب صاحبه وهو قريب من المنافسة، والله ﷻ يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، والتنافس يكون على أمور الآخرة، أما في أمور الدنيا، فلا؛ لأنها حقيرة، ولذلك يقول بعض السلف: (من نافسني في الآخرة نافسته، ومن نافسني في الدنيا ألقيتها له)، ويقول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين. رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»(١).

عباد الله! أما الحسد المذموم: فهو أن يتمنى الحاسد زوال النعمة من عند أخيه، وانتقالها إليه، وهذا من شر الناس، ولذلك أمرنا الله في كتابه أن نستعيذ به سبحانه وتعالى من شر هذا الإنسان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق]. فالحاسد إذا نظر بعينه القاتلة وبقلبه الأسود، وبنفسه الخبيثة إلى المحسود أصابه. كبعض الحيات إذا نظرت إلى امرأةٍ وهي حامل أسقطت ما في بطنها، وإذا نظرت إلى رجل طمست عينيه، وكذلك هذا الإنسان فهو نوعية خبيثة من شر الناس.

ولذلك يجب على المسلم أن يستعيذ بالله دائماً، وأن يلتجئ ويحتمي بحمى الله دائماً، ولذلك نقول: يا ربنا نعوذ بك من شر حاسد إذا حسد، وقد رقى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ من شر هذه النوعية من البشر، فقال عليه السلام: «**بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»(٢).

عباد الله! الحسد مرض خطير، وداء عضال إذا انتشر في الأمة،

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٩١)، م: (٨١٥). (٢) **صحيح**: م: (٢١٨٦).

دمرها، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الحسد يدفع صاحبه إلى أمراض كثيرة، فالحسد يدفع الحاسد إلى سوء الظن، وإلى التجسس، وإلى الغيبة، وإلى النميمة، وإلى التباغض، وإلى التدابر، وكل هذه أمراض فتاكة إذا انتشرت في الأمة ـ بسبب الحسد ـ دمرتها. ولذلك يقول ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم**»، فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال ﷺ: «**الأشر والبطر والتكاثر، والتناجش في الدنيا، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**»[١].

فبعد الحسد يأتي البغي، فالحاسد يبغي على المحسود، ثم الهرج، وهو: القتل، وقال ﷺ: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم البغضاء والحسدُ، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثَبِّتُ لكم ذلك؟ أفشوا السلام بينكم**»[٢].

عباد الله! وقد حذر الرسول ﷺ من هذا الداء ومن هذا المرض ـ الحسد ـ تحذيراً شديداً، فقال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[٤]، وقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا**

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ١٨٥)، طس: (٩/ ٢٣)، [«س.ص» (٦٨٠)].

(٢) **حسن لغيره**: ت: (٢٥١٠)، حم: (١/ ١٦٤)، لس: (١٩٣)، ع: (٢/ ٣٢)، بز: (٦/ ١٩٢)، هب: (٥/ ٢٦٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٩٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٧١٧)، م: (٢٥٦٣).

(٤) **صحيح**: خ: (٥٧١٨)، م: (٢٥٥٩).

يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرار، «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[(١)].

العنصر الثاني ـ الحاسد مجرم.

أولاً: إنه مجرم في حق نفسه؛ لأنه عندما حسد الآخرين عرض نفسه لغضب الله وسخطه، وعذابه، وتخلَّق بأخلاق شياطين الإنس والجن.

- فالحسد من أخلاق إبليس، وقد حسد إبليس آدم عليه السلام عندما خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة، وعلَّمه الأسماء كلها.

- والحسد من أخلاق اليهود ومن شيمهم.

فقد قال الله عز وجل في سياق الحديث عن اليهود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ ـ لم يا ربنا؟ ـ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

- والحسد من أخلاق الكفار، ومن شيمهم كذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١] أي: يحسدونك بأعينهم.

ثانياً: الحاسد مجرم في حق غيره؛ لأن الحسد يدفع الحاسد إلى أن ينتقم من المحسود بأي طريقة وبأي أسلوب، ولو أدى ذلك إلى أن يظلم الحاسد المحسود، ولو أدى ذلك إلى أن يقتل الحاسد المحسود، وكم من حاسد ظلم وقتل المحسود، ولقد رأينا ذلك كثيراً في هذه الحياة! ولكن تعالوا بنا ومن خلال الكتاب والسنة لنبيِّن لكم ماذا يفعل الحسد بأصحابه:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).

١ ـ هذا إبليس لما حسد آدم إلى أين وصل به الحسد؟

أولاً: منعه من أن يستجيب لأمر الله، ولم يكتفِ بذلك بل دفعه الحسد إلى الحرص على إخراج آدم من الجنة، فوسوس له وأقسم بالله أنه له ـ أي: لآدم ـ لمن الناصحين، فنجح في خطته، وأخرج آدم من الجنة لحكمة يعلمها الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤]. ولم يكتفِ بذلك إبليس بل دفعه الحسد إلى أنه أقسم بعد ذلك معلناً للحرب على آدم وذريته إلى يوم القيامة، قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال في موضع ثالث: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، والذي دفعه إلى ذلك كلِّه إنما هو الحسد.

٢ ـ وانظروا إلى اليهود، لمّا حسدوا المسلمين على نعمة الإسلام، فإلى أيِّ شيءٍ دفعهم الحسد؟ دفعهم الحسد إلى العمل بالليل والنهار ليردوا المسلمين عن دينهم ويرجعوا كفاراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾. فالحسد جعلهم يعملون بالليل والنهار، وينفقون أموالهم، ليشغلوا شباب المسلمين عن دينهم، وليردوا المسلمين عن دينهم وأظنكم متفقون معي في أنهم نجحوا إلى حد كبير في هذه الخطة فشغلونا عن ديننا!! قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]. إن نزل بالمسلمين خيرٌ أحزنهم، وإن نزل بهم شر ودمار وفرقه أفرحهم.

٣ ـ ثم انظروا إلى ابني آدم كيف دفع الحسد أحدهم إلى أن ينفّذ جريمة القتل بأخيه فباء بالإثم والخسران المبين، قال ـ تعالى ـ: